مملكة الصمت

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية 1441 هـ - 2020 م
(ISBN): 978-9947-79-610- 8
الإيداع القانوني: 2020/04

اسم العمل: مملكة الصمت
اسم المؤلف: حنان مالكي
تصميم الغلاف: ل-سيف الدين
المدير العام / سميرة منصوري
إخراج: أحمد منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

HANANE - MALKI

مملكة الصمت

حنـــان مالـكي

مجموعة قصصية

المثقف
للنشر والتوزيع

الاهداء

إلى التي

رسمتْ منزل أحلامها في طفولتها

وهدمه الواقع المرّ ..

إلى الذي

خاط ثوبه طموحه في السّحاب وانتظر،

فهبّته رعود الانكسار

وغابه الأمل

مالكي حنان

موعدٌ مع الأمس..

رسائل الخريف المبعثرة على الرفّ القديم العامرة بخطوطٍ من غبار السنين.. تُرجع لي خلفيات مبهمة من ليالي الذّاكرة، تَسردُ لي أساطيرًا من خال الزّمان، أَرْدَت يقيني بها ضربًا من خيال ..

في صباحاتٍ لا تشبه غيرها ونهاياتٍ كغيرها من جروح الأمنيات، كلّما هبّ ذاك النّسيم تطايرت كالخيبات وتناثرت على مكتبي في توسّل يائسٍ أن أفتحها.. تلك القصاصات المطويّة بعبقها الصّارخ بذبول الانتظار، تلك الصّور العالقة واللّيالي المتعاقبة..

كانت تحمل لي أملاً وسعادة، لكنّها لم تعد تجلب سوى الأنين ..على كلّ سطرٍ دمعةٌ أسدلتْ أحلامي بسخاء ورَكدَتْ ترقبُ عُشّ الأمان كي يَحضن ما صار هشًّا...

إن لم تبالي باختلافي، فصولي كلّها خريف لم يعد شيء يصلح للنّماء، لم يعدّ الحبّ كلمة يحتار في صفّ حروفها العشاق، لم يعد القلب على عهد فِطرته فقد ثبُت عندما لفّ آخر رسائل الأشواق.. لتعلم أنّي سأبقيه لزمن غير هذا الزمان، محفوظًا بلا وجع وعلى جبيني حُبّ يلامس صفو داخلي، يضاهي ما تبقّى من ذرّات الوفاء، كي تعتادني؛ فبعد زحف الحنين لست أرضى بأن يبقى خطّ ذكرياتي يُكتب كلّ مرّةٍ برجاء، وككلّ يوم حارستي النابضة ترف كجناح

اليقين فأسرج خارج اسوار الزمن وبخاطري جلبة، تلك القصاصة الباهتة كانت كلماتها تلمع بعيني والوحيدة تخبرني : ...

"سنوقف تخاطر الماضي المعتم ونعقد العزم لتجديد العهد بالقادم الأجمل، وبثقة جامحة نحتاج قلوبًا لا تعرف الخيبة والخذلان "

فأطوي على نفسِ الشّروخ المتآكلة الحكايا المترفة وأعيدها إلى ذاك الرفّ القديم.. لابدّ أن يمضي كل هذا ويلتزم كلّ خيالٍ بمكانه .

فغدًا أمل جديد

وإن كان للغدِ تاريخٌ وحيد..

حبٌّ على أعتاب القصبة

اختلت ليس ببعيد من فسحة الذّاكرة حيث لا تزال أنوار الماضي الجميل تملأ تلك الزاوية من قلب العاصمة بعضاً من حنان تلك الأيّام الدافئة.. تلتمس جدران البيوت العتيقة وطلاؤها الأبيض المقشّر، وتلك البيوت بعمارتها العثمانية، تلك الأعمدة الخشبيّة ما زالت تزيّن شرفات البيوت وتحاكي الزمن وتصرّ على الصمود رافضةً الرّضوخ، ها هي عروس المتوسط قلعة كالهرم بطرقاتها المموّجة والضيقة تحكي تراثًا معماريًا وجمال ثورة وتاريخا مشتعلاً، كانت تقاوم لاهثةً تحتضر آخر أنفاسٍ من أعوادِ الأماني وضحكات الصغار بالحيّ العتيق، تنادي وتهرول من بين قدميها تنافسها في النزول، لم تكن تخشى الوقوع بل لازمتها فكرة منافستها لولا أن خانتها عصاها مع المنحدر... وإن غرس الحنين على جوانبها ذاك النغز فلم تكن ترى غير ذاك البريق آخر الطريق حين كانا يترافقان طفلين عبر أزقّة القصبة نحو حي باب الواد، وكان يمسك بيدها ويقول لها :

- سأكون مثل أبي مجاهدًا، سأتعلّم حمل السلاح لأطرد المستعمر من بلادنا يا "حسناء"

لم تكن تدرك حينها من كلامه إلاّ ما ذاقته من سنوات المعاناة والفقر وذلّ الاحتلال، ولم تكن تعلم أنّ للقدر رأي أعلى شأنًا لابن العم، الطفل الضّاحك

هذا الرّجل في جسد الطّفل ذو الاثني عشر عامًا.. وبعد خطوات النّجدة المنادية عبر الدّرج وعبق الأيّام المرتجل أمام البيوت ترافق هنا مجددًا شابين والبندقية على ظهره بطلاً وقد عرفت معه عندها عزّة الوطن وكرامة العيش كيف تكون ..

مازالت البيوت رغم ما غيّرت منها ضراوة المناخ والزّمن لكنّها تأجّج بداخلها فكرة حمل السلاح، وعلت من حنجرتها ذاك اليوم زغرودة استوطت شقوق الجدران واخترقت نوافذ البيوت ومازالت هناك تسكن وها هي تسترجعها اليوم ..

لم يغب ذاك اليوم من عينها وهي تمرّ بأروقة شارع ديدوش مراد الذي كان يومها يسمى شارع ميشلي، وإن تغيّرت الأصوات والوجوه لكنّها كانت نفس الهتافات تبشر أنّه نفس الدّم في العروق لم يتغير، ترسم مخيّلتها الذكريات سار من هنا ذاك اليوم حاملاً علم الوطن يجرّها راكضاً بين المتظاهرين ينادي تحيا الجزائر كباقي الرجال في السّاحة، كان علي كالوحش الضاري تقدّم نحو الجندي هشّم وجهه وقد غرس قبضته في معالم وجهه كالقشّة البالية، تلك الصّورة عبّرت كمسحة الفخر على ملامح وجهها البهيّ النّيروهو يقاوم ويهتف "الجزائر جزائرية" حتى استقرت بصدره حمامة الشّهادة ورفعته عاليًّا من بين الجموع، روحًا مضرجًّا بدمائه الزاكيات الطاهرات سما من بين عينيها حتى كادت ترفرف روحها معلّقة على جناحيه ونظراته التي علتها جزر الفردوس

العلي شهيدًا فداءً للوطن شرخت قلبها، وتركت لها نصفًا داميًّا من وجعٍ لا تُسكته إلا رحمات من اللّه والصبر، كان جنود المستعمريحاوطون المتظاهرين ويصبّون عليهم أنواع العذابات بوحشيّة، في هذا المكان علا الحقّ وأودع الباطل في سِلال البهتان وكشف المستور وأُشهرت كلمة النّصر عبر المحافل الدولية آنذاك،

ذلك الرّجل الذي أحّبته حتى العظم، ذاك الفارس النبيل لم يكن بمدارج الحبّ العادي ليصّنف ولا العشق ليعرف، كان روحًا ليس بمصاف البشر ملاكاً جزائرياً حرّا أبّيا، أذاب في عروقها الشّعور بالأمان، رغم شبح المّوت المتربّص من كل جانب ..

ها هي الآن تسير ساحبةً عمرها السبعين على درجات القصبة كل خطوة بسطرٍ يدقّ طبلاً بذاكرتها كيف كان الحيّ عندها، كان يعجّ بالصبّية ولكنّهم كانوا رجالاً كانت الزغاريد تنعش سمعها بإنذار نصرٍ قريبٍ في الأفق يلمع رغم رصاص الأعداء المدوّي، غلبت زغاريد حرائر الوطن، ونازعت تضحيّة الرّجال ظلم المستعمر فأوقفت نزف الحصار وأوجعت قلب الظّالم، كان الرمح فيها والموت قادم نحوها رغم محاولاتها البائسة للفرار من القدر المحتوم.. كانت هناك معه شابّةً في العشرين أبت إلاّ أن تدوّن معه بجموحها وقلبها الرجولّي الناضج كتفًا بكتف، كانت تضجّ بقوة اللّبؤة وهي متمسكة بيده لم تكن تخشى شيئًا، كان العلم الوطني يرفرفُ والشّعارات تُرفع عاليًّا وكلّ شرائح المجتمع تطوّق الشوارع الرئيسية الحراش باب الواد، القبة ..

ما تزال لقاءاتها مع ذكرياتها كلّما مرّت من هنا تلفّ القلب كضمادات تطيب بها أوجاعها.. ليته يعلم بأنّ من تركه مضغةً في بطنها ذاك اليوم أصبح أملاً مشرقًا ومن صلبه جاء البطل الجديد سيحمل راية الوطن مهما كانت الظروف، مازال مُذّ ذاك اليوم يعيش فيها لم يكبرولم يمت، اليوم هو يركض أمامها مستقبلاً بأحضانه الحياة يقول :

- سأحمي الجزائر، سأكون مثل جدّي "عَلِي"

اليوم يقف مع الحراك الوطني في ساحة البريد المركزي يقاوم رافعًا راية الوطن الغالي وينادي بالاستقلال عن رؤوس الفساد، هو نفسه بذاك البريق ذات الطفل ذو الاثني عشر عاماً..

علّت ثغرها ابتسامة أزاحت بتجاعيد الزّمن التي ملأت وجهها، و همست لنفسها وعينيها مازالت تحدّق بحفيدهما "عبد الحميد" :

- قد أورثتَه مَا هُو أغلى من المَال والجَاه، نَمْ قريرَ العَين في فِردوسِ الخُّلد يا زَوجي..

أنين الياسمين

كنت أطلّ على ساحة الأيتام ولست بيتيم، تبكي جدراني ويهتز ذاك اللّوح المكسور بالأنين.. تقرضني الشمس ذات الشّمال وذات اليمين ولا من يحزّ فيه مظهري كخيال بتّ أرعبُ المارين ...

لازالت بصماتكِ هنا صغيرةً كنت تلونين.. هل تذكرين؟ لازالت خربشات البراءة تبهج طلائي الحزين ليتك تعودين تفتحين ذلك الإطار الهشّ وتسقين ورود الياسمين.

هنا كنت تجلسين وعيونك لامعة، تهزّين طائرتك الورقيّة وترقصين، أذكر يوم كدت تقعين، متّ من رعبي وخلت أنّني زرعت لي حاجزًا آخر غير الذي تعرفين، خلتني زدت جاذبيتي لألتقيك وأنت لا تعلمين

هنا كانت حروفك الأولى وكانت قهوتك أيام الدراسة، وكانت أحلامك المحلّقة، وكانت مخطّطاتك مع بنات الجيران، هنا كانت أمنياتك للسماء...ترفعين في تلك الزاوية كان مقعدك والطاولة وكتابك الذي تعشقين، مازال صدى صوتك يهزّني.. كنت أجالسك في الوقت الذي تشائين ولا تشعرين.

لم أكن حيًّا إلا فيك، أتنفّس وجودك وتعبرني السّاعات من خلال حضورك، ليتك تعلمين، يا قصّة لم أعد أعرف لمن أحكيها، من أخبر؟ من يصدّق أني كنت شرفةً مضيئة بآمال الناظرين.

من يصدّقني يا صغيرتي بعدك.. لم أكن سوى ومضة من تاريخ وانطفأتْ يوم غادرتني وأغلقت ذاك الباب وصرنا غرباء، ضاعت هويّتي لم أعد أنا تلك الاطلالة المشرقة، لست سوى بيت أشباحٍ على حافة الطّريق، ليتني انسلخ عن جداري وأتبع خطواتك، لكنّك تكبرين ربّما لم أعد أسع حلمك طفلتي لم أعد بمقامك، أنا البيت القديم، صرت كغبار السّنين لا ينالني إلا مسحة عن الجبين لأزول كما تزول عن الرصّيف خَطوات العَابرين ..

باتت أرضي بقايا من العابثين شوّهت بلاطي. وأنا التي كنت معك ياسمينتي كأغنيةٍ أنشدتها الحساسين، صرخة انتصار وعنفوان، ها قد حلّت شُرفةً بائسة، فأغرقيني بورود الياسمين....

هلاّ ترجعين ..

لا زلت شُرفةٌ تحكي الحَنِين ويا ليتك تسمعين..

تذكار العابثين

سلامٌ عَلَى قَلْبِي الَّذِي أَحَبَّكَ..سَلَامًا عَلَى سِـرٍّ أَوَدَعَهُ اللهُ فِيـكَ كَيْ لَا أَرَى سـوَاكَ بَشَـرًا فِي الظِّلَالِ...

هَنِيئًا لِنَفْسِي التِي لَمْ تَعْبَثْ بِأَرْضِي رغْـمَ حَنِينِ الْاِسْتِيطَـانِ وَوحْشَـةُ الْغَرْبَةِ دَاخِلَ الْحيطَان..

يَا عَابِرًا...تركْتَ بِأَعْمَاقِي حُلْمًا وَلِيدًا لَمْ يَعْرِف طَعْم الْحَنَان، جعلتنِي أَسْلُبُ نَفْسِي حُـرِّيَّة اِتِّخَاذِ الْقَـرَارِ وَ هَمَمْتُ أَمشّطُ قَطَرَاتٍ مِنْ عِطْرِ مُرُورِكَ ..أَحْمِلُهَا عقْـدًا بِجيدِي يَلْمَعُ مِن نُبلِ أَحْلاَمِي وَآمَـالِي ..تِلْكَ الدّرَر الّتِي لَمْ تَقُلْهَـا خلَتْنِي سَمِعَتْهَـا مِنْـكَ بِصَـوْتِ قَلْبِي..

فَتَهَاوَى عَنْ وَجْهِي وِشَاحَ الْعبُـوسِ وَأَشْـرَقَتْ عَلَى ثَغْرِي اِبْتِسَامَتِي الْمُغَيَّبَةِ.. تِلْكَ اللُؤلُؤة بِقَلْبِي لَمَعَتْ بِعَيْنِي وَأَنَا أُنْظُـرْ إِلَيْكَ، كَانَ دَرْبَ الذي لَا يَظِلُّ..

لَكِنِيّ.. أَبْقَيْتُكَ خَلْفَ الْأَسْـوَارِ خَوْفا مِنْ هَذَا الْيَـوْمِ...حِينَ تَتْرك أَثَرَا بِفَنَائِي لَا يَمْحُوهُ سَيلُ

دموعي وَلَا نَارُ شَـوْقِي، وَلَا مُحَاوَلَاتِي الْبَائِسَـةُ لِلنِّسْيَانِ. خِفْتُ أَن تَسْـتَعْمِرَنِي أَطْيَافُكَ الْعَابِثَةُ فَيَخْتَلُّ بِقَلْعَتِي طَوْق الْأَمَان..وَيَخْتَرِقُ نَصْلُ ظُلْمِكَ مِيزَانَ عَدَالَتِي وَيُهْرِقُ بَرَاءتِي عَلَى سُـفُوحِي الطَّاهِرَةِ بَعْدَ هَذَا الْاِعْتِرَاف..

الـرّوْحُ نعمَـةَ رَبّي لَـنْ تُبْطِئَ الرَّحِيلُ.. فَإِنْ كُنْت لَا تَرْضَى الْمَجِيء أتيت اليكَ، فَافْتَحْ دَهَاليزَ قَلْبِكَ وَامْنَحِني تَأْشِيرَةَ الْعُبُورِ..

فَلَسْتُ مِمَّنْ تهْوَى الزّيَارَات الْعَـابِرَة إنّي وإِنْ حَلَلْتُ بِمَكَـانٍ أَقيم ليْسَ إلا طُهـرًا ونقـاءً ما كَان يدْفَعني إليْكَ رُغم بوادِر الرّحِيـل .. لـوْ غِبت لا تَنتظِر مِنّي عَفـوًا إنّي لا أمْلكُ وداعَك ولا سَماحَك ..

فدَعِني أَزْرَع فِيكَ شَينًا مَيّ..أَلَا أَسْتَحِق تذْكَارًا بَعْدَ كُلّ هَذَا الشُّعُـورِ..

وردُ الفَضِيلـة ووعدٌ بالـوَفَاء، وإنْ كُنتَ لاَ تَعْبأ فَإنّي أستَحـقّ مِن نَفْسِي هَذا الـوَلَاء.

عَنْ صِدْقِ المَحبّة وَالأَصَـالَة ..

فيَا عَـــابِرًا بِقَلْبِي..أَحْسِن الْعُبُور...

عويل الظلام ..

اكتسحتني تلك الضبابيّة وهمسَت إلى جانبي أطيافٌ كنت شاهدتها في فلمٍ ما، أوسمعت عنها في أحاديث اللّيل المرعبة.. لم أتمالك نفسي وأنا لا أجد ملمس الجدار بجانبي، تُراه كان بعيدًا لهذا الحدّ؟ ملتُ وملتُ لكنّي لم أستند، ليس عندي إلا شعوري بالأرض تحت قدميّ حتى ارتخت أطرافي وخشيت أن أفقد ذاك الاحساس الوحيد بالوجود، كان سمعي عشرةً على عشرةٍ حتّى بِتُّ أخترع الأصوات ويتهيّأُ لي أنّها تشتدّ وتعلو وتقترب منّي من كلّ صوب.. هل يجب أن أتقدّم خطواتٍ للأمام ؟ أم أعود للخلف، علّني أجد متكَأً ومستراحاً.. لم أعد أستوعب ما يدور من حولي حتّى ملمسَ الهواء كنت أستشعره وأتحسّس ذوبانه بين أصابعي، وفجأةً ضجّ محيطي بالصراخ، فقفزتْ بقلبي رعشةٌ كادت تنهار أعصابي بها.. تُراه صوت عواء كلب؟ أم هو صراخ أحدهِم؟ لم يكن الصّوت آدميًّا لي مع أنّهُ كان أشبهَ بالصّراخ من العُواء، ثمّ ما لبث أن عاد الصوت مجددًا وكان على دفعتين بنبرتين مختلفتين؛ الأولى خشنة والثّانية مرقّقة على خفيفة، فقد كنت حريصاً حينها مركّزًا حتى في ملامح المخارج وحركاتِ الشّفاه التي قد تكون صدرت منها ..لا، تأكّدت، لم يكن إلا عُواء كلب، نعم هو كلبُ جارنا أيّوب، لم أكن حينها متأكّدًا لكنّي مقتنع، هو صوت الكلب أيوب، أقصد كلبَ أيّوب.. لا يمكن أن يكون غير ذلك..

الساعة تجاوزت الواحدة والنّصف ليلا ولازلت حيّا أضمن أنّي أتنفّس على الأقلّ، لا أدري إن كنتُ وسط الفضاء أم على حافة منحدر، انعدام الوزن والشعور، إلا من قطرات دم صرت اتفقّد جريانها بعروقي كل ثانية لتشدّني للحياة.. كأنّني أصبحت أشكّ أني لازلت إنسانا ولم أتحوّل لجثةٍ باهتةٍ بعد، مرّت خمسُ ساعاتٍ من السّواد، عصفت بي زلازل الرّعب وتلاعبت بأوتادي، لم أعدّ أشعر بأسفل ظهري فخرّ نصفي على نصفي ساجداً..

مهما يكن لم يبقَ مني إلا شهيقُ أنفاسي يحشرجُ في صدري زفرات، بعدما دبّ سكون رهيب من حولي و بين أضلاعي قلت :

متى ينتهي هذا العذاب، فراح الصدى يردّد من بعدي ليس بعد الآن يا شِهاب..

****

غيابات القلوب

كَيف أضمّد جراحًا لا أعلمُ موضعَ نزيفِها؟ جِراحٌ اكتفت ببثّ الألم بجَوارحِي، من محضِ خَيالي واعتقادِي، كسُّم انتحارٍ بمِلكي لم يُصنَع له تريَاق، من جُعبة اليأس وصَدمةِ حَاجز الصّمتِ خَذل المعْنى إحْساسي وأرعَب سُكون قلبي.. فأفرغتُ سطُورًا مَلأَت عُيونِي بِسِحْرٍ كثيرِ الشُعور شَحيحِ الحُروف، أبَاد كُلّ بَذْرةٍ تحْلم بالحَياة، كَانتْ تُصدّق يَقينًا بالقادِم الأجْمل المُوجُود بهُتافَاتِ البارِعِينَ في تقمّص أدْوارِ المُتفائلين.

كنت أظنني فارسا ينتظرُ أن ترسلي لي ظفيرة الثِّقة.. طَال انتظَارُي وما كتبت لي النجَاة.. لا شَيء أكْثر جشَعًا من طامِع في شَرفِ البَراءَة المَلفُوفة بالطُهر والنقَاء الفِطْري.. فَلنْ يَحمِل عَنك ذاك الثّقلَ أحدٌ مَهْما كَانتْ رُتبته في ممْلكة قلبِك .

تِلك النفائسُ التي لا تُنطقْ ليسَ لها مَخْرجٌ غيرُ الوجَع ..لدَى مَن يحملُ بالقلبِ مِرآةً لا تخُون ولا تكِذب، كلّما رأيتُ نفسِي فِيها لمَحتُ وجْهكِ يُنافِس مَلامحِي يُغازل ذاك المبسمُ عُبوسَ وجْهي وقتالِي الدائمَ لصفّكِ بدُرجِ "ما مضَى لنْ يَعُود" لكنّكِ مَزروعة كضلعِي الأقْرب إلي أنفَاسِي، استقمتِ تُخاطِرينني نِيابةً عنْ نَفسِي تُباغتين الجَلبة التي بعَقلي كُلّما همَمْتُ لصَحْوَة.

إلى مَن أهْدينَاهم القَلبَ مُفرغًا من أي كَائنٍ ليسعَ حبُّهم.. مَن غَيّبنا لأَجْلهم مَلذّات الحيَاة ورفَعْنا شِعارًا على رايةِ الاستسْلام " لكُم نحْيا لكم خُلقنا "لم يكُن قِناعًا مَا واجَهْنا به الوَاقع.. كَان وجْهًا حَقيقيًا مهَمّشًا لكنّه حقيقي، لم تَكن لنا بدَائلَ في الخِزانَة ولم نَكن ننْوي الغَدْر، لكنّكم كنْتم مُجّرد دُمى تُحركها حِبالُ الغَريَزة.. لا شُعوَر ولا ضَمِير، عِشتم في الوِجْدان خَرابًا؛ ما رحِمتم كبير حبّ ولاَ صَغير أملٍ ولِيد، فاشْهَدوا أنّنا نفضّل قَاع الكَرامَة علَى علْيَاء الذُّل ..

يَا مَن يُنصِف ضَعْفنا، وبَعْثَرَة أُروَاحِنا، يا قَاضي الزَمان، اقضِي بمَا حَكَمت القَصائِد من سَكراتِي واصْنع لي نُصْرتي أمَام خَيْبةِ كلمَاتي ... علّني إنْ نَجوتُ من دنْيا فَانيَة رَكْنتُ لخُلودٍ في الرّوْضةِ البَاقِية

يا سَاكنًا بالقلبِ تركتُ قلبي لكَ ورَحلتْ ..

كُنتَ حُبّاً تلألأ بداخِلي.. وأبيتُ إلاّ أنْ يُضيءَ العَالمْ ..

فَأظْلَمْتْ .

رسَالةُ انتحارٍ مُؤجّلة

****

خيال عائم

تماوجَ بألوانِ طيفٍ كزُرقة بحْرٍ وَليدة من بحْرِ شّوقي وأمنيَاتِي، خيالٌ أَسَالَ مُجَاجَ قَلْبِي وَهَزَّنِي لِأَكْتُبَ لَه، فَجَالَسْتُ وُرُودَ القَاعِ مِن ظُلْمَتِي وغَدَوْتُ بِلا دَاعٍ أُدَارِي شُعْلَتَه، فَحَارَ قَلَمِي بِأَيِّ حِبْرٍ يكْتُبُه بِأَيِّ حَرْفٍ فَكُلّ الْحُروفِ لَا تُشْبِهُه، سِحْرٌ غَامرتُ أن أنقشه حَرفًا على سُيولٍ حُبلى بالأمنِيّات بَيْنَ السَّطْرِ وَالسَّطْرِ تَزَاحَمَتْ مَسَارِحُ الْوَجْدِ، وَتَلَاحَمَتْ وَعَادَتْ أَطْيَافَ المَاضِ تَحْجُبُ النَجْدَ عَنِي لِتُطْفِئَ مَنَارَةَ مَنْهِجِه، فرُحتُ أشيحُ عَن عَيني كَأنّ القَدر خَطّني بِمرمَاه تِلك الأُمسيّة وقَضَى أن أكُون الهَدف السّاعي إليّ، فَجلتْ وغَارتْ تلك الأمنِيات بغيمةٍ جَارِفَة حَالَتْ رَميمَ الْقَلْبِ ذَرِيرَةً صَفَّقَتْ بِوَجْهِيّ الذِكْرَيَات، وَ رَاحَتْ تُعْمُرُ النَّفْسَ بِخَلَجَاتٍ عَلَى مَشَافِرِهَا اِلْمُزْنُ يَنْتَهِزُ بَهجَتَه، حِينَها خِفْتُ أَنَّ تَندَى جُفُونِي فَتَكْشِفَ فِي عَيْنيَّ مَا يَهُزُّ كَرَامَتي خَرَجْتُ فِي زِينَتي وَبِلَهْفَتي التِي غَبَّتْ أُجَادِلُ محْجَرِي كَيْ لاَ أبْرَحَه لَكِنَّه تَعَالَى.. فَتَهَاوَتْ حُصُونِي وَركَنْتَ بمَوْضِعِ مُقْلَةٍ مِني بَعْدَ أَنْ تحَوَّبَتْ مِني كَلِمَاتٌ أَفَاضَتْ مُهْجَتي، وَعَقّتْ شِفَاهِي لِتُخْبِرَه.. مَسَحْتُ عَلىَ ذَاكِرةِ العَدَمِ وَارْتَجَلْتُ حُرُوفِي..

ثم قُلْتُ له:

"يُغنيني طَيْفُكَ عَنْ كُلِّ الْبَشَرِ.. عَنْ كُلِّ مَا يُنَازِعُنِي فِي حَظْرَتِك يَا مَلَاكًا تَمَثَّلَتْ لِي كَدَعْوَةٍ أم تجلّت تُزَكِّي طُهْرَ مَعْدَنِك يَا قَلْعَةً مِنِ أَضْلُعِي أَرْخَيْتَ سَلَاسِلَكْ، فَسَاخَتْ بِدَمِي خَيَالًا مِنْ هَالَتِك"

تُهْتُ فِيه كَفرحةِ عِيدٍ.. بِتُّ أَرْقُبُ هِلَالَ طَلَّتِه فإِنْ كان خَيْبَتَي أَوْ كان جَنَّتَي، هَذَا مَا تَبْقَى مَنِّيّ مَعَه..

خَيالٌ يحْكِي حِكايَتَه..

لغز من ذاكرتي

عَوَّدَتْنِي أَنَّهَا كُلَّمَا غَضِبَتْ مِنِي تَرْضَى وَتَعودُ إلي.. لَمْ أُعَرِفْ معنَى أن أُرَاضِيهَا، كَانَتْ أَرقى وَأَجْمَلُ حُلْمٍ عشْتُه.. لَمْ أعرفْ أَبَدًا مَا نَوْع قَلْبِهَا، كَيْفَ شَكْل دُموعِهَا؟

لطَالَمَا أَخْفَتْ عَنِّي تَعَبَهَا وَحُزْنَهَا خَلْفَ اِبْتِسَامَةٍ هِي الآن كُلُّ مَنْ تَبْقَى لِي مِنْهَا ذِكْرَى، وَأقْسَى ذِكْرَى مَزَّقَتْنِي تِلْكَ الدَّمْعَةُ عَلَى خَدِّهَا

كُلَّمَا مَرّ طَيْفهَا بِذَاكِرَتِي وَعَجِزْتُ أَنْ أُوَاسِيهَا كَانَتْ تَقْتُلُنِي زِيَارَاتُهَا، تُشْعرني بالقَهْر أكْثَر لأَنِي أعْلَمُ أنها تطَمْئِنُ عَلِيّ، مَازالتْ لِلْعَهْدِ أَوَفَى مَنِّي رَغْم رَحِيلِهَا حَبيبَتي ..

لَمْ أعْرفْ كَيْفَ أُسَمِّيكَ، كُنْتِ أكْبَر مِنَ اِسْمِك وَأعْلَى مِنْ سَقْفِ اِحْتِمَالَاتِي وَأكْثَر طهرًا مَنْ الدُّرِّ الْمَكْنُونِ، كُلَّمَا التَفَتتْ كُنْتِ بضَواحِي رُوحِي كَظِلِّي الذِي لَا يخُونُني فِي الظَلَام، كُلَّمَا اِحْتَجْتُكَ اِمْتَدَّتْ لِي يَدُكِ لِتُنَعشَنِي مِنْ ضَيقِ الْحَيَاةِ، لِذَا لَمْ أعْرفْ كَيْفَ يَكُونُ غِيَابُكَ..

غَدرَت بِي حِينَ لَمْ أُدْرِكْ أنّكِ بِضْعُ زَمَنٍ وَتَنْتَهِين.. خِلَتْكِ خَالِدَة فَوقَ القَانُون خلتكِ لَا تَرْحَلِينَ.. يَا لَهَا مِنْ مرارَة تعَادل الْفَ وَجَعٍ وَآلافَ الآلام...

كَسَرَت ضُلُوعِي لَوْعَة اِشْتِيَاقِك، بَعْدَك مَيّت أَنَا لَا معْنى لِحيَاتِي، فأنْتِ مَجَرَّتِي فِي حُدودِك كُنْتُ أَحْيَا، يَا ليْتَكِ تَعْلمِين أصْبحتُ بَعْدَك غَرِيبًا فِي وَطَنِي، جَهِلَتْ

النَّاسُ وَمَا عَلِمَتْ إلَا اِتِّبَاعَ طَيْفِك كُلَّمَا تَرَاءَى بِخَيَالِي، فَقدْتُ آخِرَ حبال مَنْطقي وَانْفَلَتَ شِرَاعِي وَسط زحَامِ الطَّرِيقِ، تَلاَشَى نَبْضُ قَلْبِي وَاِحْتَارَ الْمُداوِي فِي مَوْضِعِ أَلَمِي، لَمْ يَعْلَمْ رَغْم حِيلَتِهِ أَنِي أشكُـوك..

خُذِينِي إليْك يَا بَقيةَ هَالتِي يَا كُلّي المجْرُوح، يا نِصْفَ اكْتِمَالِي.. اِمْسَحِي عَنِي بِسِحْرِكِ وَضُعِّي شَتَاتَ قَلْبِي وَاسْكُنِيهْ فأَنتِ الْأَوْلى بِسُكْنَـاه..

لمْ أعرف أنّي يومًا سأقومُ أكلّم طَيفكِ مفتُـون، لا يصدّقُـون يَقُـولون عنّي مجْنُـون لكنّك أكثَرما صَدّقتُ في الحَياة، كُنتِ كالمِسْك غُبَارسِحرفَاق مُنتهَاه..

حَبِيبتي، أنتِ لغزٌ مِنْ ذَاكِرتـي ...

قلب المحب وطن

رسالة إلى صديق..

- بَعْدَ الشّوقِ و بَعْد..

أحْتَارُ حِينَ بَعْضِي يُخَاصِمُ بَعْضي، وَمنْ حَوْلِي تَتَلَاطَمُ الرُّؤَى.. وَ تُحقَن فِي عَيْنِي الدَّموع وَ يَهْتَزُّ الْقَلْبُ بِالرَّجَا..

لَيْتَنِي ألقَاكْ..

بِكَفِّ يَدِيّ وَفِي حَقْلِ ذَاكِرَتِي نَثَرَتُ عبَقَ الذِّكرى لأستَعِيدَ منْك مَا عطّر أيّامي، تراكَ تَذْكُر؟؟ تِلكَ الأمْسِية المَاطِرَةُ حين قُلتَ لن أغِيبْ و وَعَدَتْني، يَومها زرعتُ كَلِمَاتك بين ضُلُوعِي، وَهَمَسَتُ لِنَفْسِي كَيْ لَا تُفشِي أَيْنَ مَحَلهُ فيَغلِبُني أَمْرِي وَأَضْعُفَ، لكننا اشْتَقْنَا لكَ يا صَديقي، ليتَك تَعُود لنخُطّ معًا الدَّرْبَ خُطْوَةَ خُطْوَة..

ونهزّ الْجَذَعُ الْمَكْسُور لِتَتَسَاقَطُ لمحات مَنْ مستقبلنا، أمَام العَيْن واقعًا ويقينًا ألم يَحِنُّ الْجِذْعُ لأوراق خَرِيفه في قلبكَ بَعْد؟ هل تهاوت أبراجُ الوفَاء وغَارَت تحْت أذيَالِ المسَافَات؟

عُد إلينَا لتنْمُو دَاخِلَ الْأَرَضِ الْبُورِ الْبُذور، وَيَنحنِي الْغُصْنُ ليَلُفّ قَلْبِي برُؤيَاكْ..

يا صَدِيقِي..

مرّ عَلينَا الزَّمَان وَلَا يَمَرُّ فِينَا، وضَعَ سَلَاسِلَا وَأغلالا بِأَيْدِينَا.. الْكَلُّ مرٌّ وَلازلنا هُنَا وَاقِفِين.. عَلَامَاتُ الْوَهْنِ لَاحَتْ بِأَجْسَادِنَا، وأنتَ بَعِيد

وَالْقَلْبُ مَا يُزَالُ طِفْلُ هجِينَا، خَلِيط مِنَ الْغربَةِ فِي الْحَاضِرِ وَالْأَمْس..

رَغْبَة تَرَاكَمَتْ تَحْتَ تَجَاعِيدِ السِّنِّيْنِ، تَهَاوَتْ عِظَامٌ وَ غَارَتْ عُيُونٌ..

وَمَالُ الْهَيْكَل الّذِي كَانَ حصينَا.. هَزِيمَةُ الزَّمَنِ لَنَا كَانَتْ أَنكَى هَزِيمَة دُونِك، أطلالا فِي تُرَابِ الْأَرْضِ بَقينَا..

نترقّبُ منْك زَائِرًا ولوْ طيفًا يَشمُّ ذَاكَ الْوَجْد فِينَا.. يَنْبُشُ عَنْ جُذُورٍ فِي بَقَايَا الرَّوْحِ فَيَسْقِينَا.. هُنَاكَ، تَحْتَ ظِلَالِ الوَطَنْ.

عُد إلينَا فالذكْرى شقّتْ بالرُّوح جُرحًا ليسَ إلاّ بحُضُورك يشْفَى

عُد إلى مَوطِنِك، فرياح الغِيَاب قَاضِية لكنّهَا لم تُغيّر فِينَا وَ لاَزِلنا عَلَى العَهْد بَاقِين ..

عُد صَدِيقِي إلَى قَلبِك، أليْسَ قَلْبُ المحُبّ وَطَنْ..

تحيةُ وسَلام من صديقتك الوفيّة أَحلَام

****

نداء العظمة

كَجَمَالِ نَارٍ تَلْتَهِبُ أمام عَينيكَ وَ تَلمع فِي مقلتيك فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ...

مَهْمَا أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَ ازددت إعجابًا بِهَا لَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهَا، حَتَّى لَا تُفْسِد عَلَى نَفْسِكَ لَحْظَةَ اِمْتِلَاكِكَ رُقِيّ اللَّحْظَةُ مَعَهَا..

كَرُؤْيَتِكَ نُجُومَ السَّمَاءِ مُنِيرَةً فِي سَمَاءِ ظُلَمَتِكَ لَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيع لمسَهَا...

كَأَنَّهَا أَجْمَل بِبُعْدِهَا الشَّاسِعِ وَفَخَامَةِ حُضُورِهَا رَغْمَ قَسْوَةِ السَّوَادِ مِنْ حَوْلِهَا..

كَرُؤْيَتِكَ عَزِيزًا فِي صُورَةٍ بَالِيَة، رَحَلَ لَكِنَّهُ لَنْ يَعُودَ...

لَكِنَّ إحسَاسَك بِسِحرِ الْعُمَرِ الَّذِي جَمَعكُمَا مَعًا.. يَكْفِي أَنْ يجعلكَ تَبْتَسِم بِرَغْم وَجَعِكَ الْخَفِيّ وَقُدْسِيَّةِ اللِّقَاءِ فِي خَيَالِ الذِّكْرَى، تَكون مُعَبّقة بشذَى مِنْ نسَائِم لَا يَعْقِلُهَا غَيْرُكَ..

كَحُبٍّ سَاقَهُ اللهُ إليكَ لِيَبْقَى بَعيدا، يُثْبِتُ لَكَ وُجُودَهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَفَقِدُ فِيهَا الأمل بِوُجُودِ شَبِيهِكَ الرُّوحِيّ الّذِي لَطَالَمَا اِلْتَقَيْتَهُ فِي سَرحَانِكَ، وَ رَافَقَكَ فِي خلوَاتِكَ كَظِلّ يُكَلِّمُكَ وَيُخبرُكَ عَنْ نَفْسِكَ مَا لَا تَعلم..

يَسْحَبُ مِنْكَ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ التِي تخْجلُ بِهَا...

فَتَزْرَعُ الْحُمْرَة فِي خَدّيكَ إنذارًا بشَسَاعةِ أرْضٍ زَرعتهَا حُبًّا وَثِقَة أن سَتُزهِرُ وتبتسِم..

كَدُعَاءٍ بَيْنكَ وَبَيْنَ رَبّكَ لَا تُرِيدُ أَنْ تُفْسِدهُ بِالْاِحْتِمَالَاتِ، هُوَ هَكَذَا أَجْمَلُ عَله يَأْتِي ذَاتَ لَيْلَةٍ.. كَطَيْفٍ لَا تَعرف مِنْ أَيْنَ أَتَاكَ يَتَجَسَّدُ أَمَامك مُعْجِزَةً فِي زَمَنٍ خَلَت فِيهِ الْمُعْجِزَات وَعُجِنَتْ فِيهِ النوايا بِمَاءِ السَّكرَات..

كهيئة ذَلِك كلّهِ جَاءَ اليَقين وتلوَّن بِريحِ الحَنين وزَاد طِينَتَهُ بَللًا عَلى اللّين ..

فَوقَفَ بِذَات الكمِين حِينَ ظَنُّوا أنّهُ سَيقَع ودَفعَ بِحُملهِ المَتِين

" وأخبَرهُم أَنَّ اللهَ وعَدَهُ.. فعَرَفَ أنّهُ سَيُعَبّدُ طَرِيقَ الخير إليهِ، فَسَيَأْتِي مَجْرُورًا بِدُعَاءٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مَا غَفَا بِالرُّوْحِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.. وأنّهُ سَيأتي بَعد جُهد السّعي النَفِيس وقَلبًا متوكّلاً أمِينا، فلَيْسَ هُنَاكَ أَجْمَلُ مَنْ شُعُورٍ أَنَّ تَجِد روحا تَدعَمُك تعَيشُ بِنَفْس الْأَرْضِ الَّتِي تَمْشِي عَلَيْهَا تَتَنَفَّسُ نَفْس الْهَوَاءِ الَّذِي يَملأ رِئتَيكَ، تَلُفُّهُا نَفْسُ السَّمَاءِ وَنَفْسُ الْأَرْضِ، لَها نَفْسُ الرُّوْحِ الَّتِي تَسكنُكَ..

تُكلمها سِرًّا فَتُلبّي جَهرًا

هي سَتَظلُّ حَرْفهُ التَّاسِع وَالْعَشْرُونَ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ يتَكَلَّم بِها جَمِيعُ لُغَاتِ الإحسَاس، وَلَا يُدْرِكُ مِنَ الْحُروفِ إِلَّا مَعَانِيها...

يَا اللّه..

عَلَيْكَ بِمُنْعَطَفَاتٍ تُبْعِدُنَا عَنْ دَرْبِكَ فَلَا تَلْتَقِي دُرُوبُنَا وَدَرْبُكَ بِعِيد..

****

محراب الآيات

أَحْتَاجُ مَدِينَةً تَنَامُ عَلَى سُفُوحِهَا الرَّحَمَة، لَا تهزُّهَا ريحٌ وَلَا تَسرَح فِيهَا الآلَام..

أَحْتَاجُ فَلْقًا كُلَّ لَيْلَةٍ يُسَبّحُ بِحَلَاوَةِ الْأَيَّامِ..

أَحْتَاجُ مَنْ يَعدنِي عَلَى نَفْسِي أَنَّ مَا بَقي مَنْ فُتَاتِ الذِّكْرَيَاتِ سَيَلْتَئِمُ كَمَا الْجُرْحُ بِجَسَدِ الانْسَان.. وَأَنَّ دَرَجَ الْقِمَّةِ ما يَزالُ مَشْرُوعًا فِي مُخَطَّطُ السّلَامِ..

مَنْ يُذَكّرُنِي كَيْفَ يَكُونُ الْإِبْتِسَامُ، وَمَا مَعْنى أَنْ أَفْتَحَ قَلْبِي لِلْأَنَامِ وَأَدع الْحُبَّ يُشْرِقُ فِي عَيْنِي بَعْدَ كُلِّ ذَاكَ الظَّلَامِ..

أَحْتَاجُ مَنْ يَعْلّمُنِي كَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ، وَ يَشْرَحُ لِي قَوَاعِد السَّعَادَةِ وَكَيْفَ تَأْتِي الْأَحْلَامُ مَنْ يُخَبِرُنِي أَنَّ حَفْنَةَ الْقَمْحِ الَّتِي نَثْرَتهَا سَتُسْقَى بِدُموعِ التَّائِبِينَ وَسَتَنْمُو بَرَاعِمُ السِّكّينَةِ فِي الْقَلُوبِ الْمَذْعُورَةِ..

مَنْ يُخَبّرُنِي أَنَّ زَادَ الْوَدِّ لَمْ يُنَفّدْ وأَنَّ الإنسَانيّة لَازَالَتْ غَايَة سَامِيَّة وَرَايَة عَالِيَة..

وَأَنَّ لُغَةَ السَّمَاءِ مازالت تُقْرَأُ لِلْعَيَانِ..

وَأَنَّ الْأَرْضَ لَنْ تُبورَ...

مَنْ يَمْسكُ الْيَدَ الضَّعِيفَة الدَّامِيَة، فَيَمْسَحُ عَنْهَا لُهَاثَ الْأَرَقِ وَ يُخَبّرُهَا أَنَّهُ لَا خَوْفٌ سَيُكَسّرُ خطْوَاتهَا..

ولَا أَلَمَ سَيَعْبَثُ بِشُعُورِهَا...

مَنْ يُعِيدُ إِلَيْهَا الْحُلْمَ الذِي سَقَط ذَاتَ هَزَّةٍ مُخِيفَة.. منْ يزيحُ عنها قُيودَ التَرُدد والانكسار...فيُغرِق في مَلامَحِهَا الوُرودِ بعْد جَفَافِ الخُذْلاَن..

مَنْ يُؤَمِنُ أَنَّ النُّورَ لَابُدّ سَيَصِلُ ضِفَافُهَا وَأَنَّهَا تَسْتَحِقُّ اِلْحِيَاه...

يَا رَبْ..

أَحْتاجُ حِكْمَةً عَلَى لِسَانِي تَكْفيني تَجَارِبَ اِلْحِيَاهْ وَ تَرْفَعُنِي عَنْ وَحْلِ الْعَثَـرَات

..

أَحتاجُ دِرعًا يخْفِيني عَن عُيُونِ الحَاقِدِين، أحْتَاجُ حُضْنا يُغنِيني عَنْ كُل مُواسَاةِ العَالم،

وفِي مِحْرَابِ آياتك وَجَدَت الْمُؤْنِس، وَجَدَت غَزِيرَ رَحْمَاتِكَ، فَخفَّ ثِقَلِي

وَ رَفّ أَمَلِي عَلَى سُفُوحِ الْخَيْبَاتِ

ولَمْ أَعُد أَبَالِيٌ...

فَإِنْ رَضِيتَ عَنِي اِهْتَزَّتْ جَوَارِحِي وَ غَارَتْ جِرَاحِي

وَصَارَ الْجهْدُ فِي غَيْرِ مَرَضَاتِكَ سُبَاتا..

****

أصدافٌ بُحَيْرَة الْعَلَقِ..

كانت شَمْس الظهيرة قَدْ بَدَأَتْ تَلُمُ أَشْتَات الْأُمْنِياتِ نَحْوَ الْمغيبِ..

جَلَسَت ترَاقِبُ قَوْسُ الْقُزَحِ يتلألأ على وجه الماء يكسر خطوطه المزركشة مَعَ سكونه السَّاحِر، وَ يَدُسّ مَا بَقي منه مِنَ انهارفِي أَعْمَاقِ تلك اللَّيْلَةَ نَحْوَ مَا يسمى شَاطئ الْعَلَقَ

كانت خلواتها كلها عَامِرَة به؛ بأنفاسه، بضحكاته، بكلّه.. ذاك الَّذِي لَمْ يُبْقِي منها إلاّ جزءا مَا يزَالُ حَيًّا فَقَطْ لِيحَيا هو فيه..

أَخَرَجَت مَنْ حبيبها شيئا غَالِيًا كان يخصّه، حَدَّقَت فيه كأنّها تراه لِأَوَّلَ مرَّةً والذكريات تَعْزِفُ بمخيلتها أَطِيَافًا مِنْ صورته حِينَ كان يشدّها مِنْ يديها، وَ يَتَرَافَقَان على رِمَال الشّاطئ الدافئة

" لَيْتَ الرِّمَالَ مَا مَسَحَتْ خطواته، ليتها تركت نَبْضًا على الأرض يُعَدِّلُ جَاذِبِيَّتي.." هكذا لا شَاهدَ عَليه إلاّ مَا مرّ من بين سطُور الذّاكِرة، لا شَاهد سِوى خُرافاتٍ أخفاهَا اللّيل ودسّها القَمَر في الظِّلال

اللّه الّذِي أَوَدَعَ فيها سِرَّ الْجَمَالِ لَمْ يُعرّفها الخيانة كيف تكون، لكنه خانها وَ قَرَّرَ أَن يمطر بعيدًا عَنْ حديقتها فَاقَ حُدودُ التَّوَقُّعَاتِ، وَ أذهلها بنموه الْوَارِف خَارِج الأَّصيصِ، وعوده الَّتِي أَطْرَبَ بها مسامعها حتى أَلَّفَت فيها لحْنَ الْحَيَاةَ الْمُتَجَدِّدَ، وَ ظنّت أن ملّكها سِرَّ سنفونية الرّوح، لكنّه استهَان و خَانَ

وَاسْتلّ روحها منها عنْوَةً، حِينَ رَحَلَ اِنْقَطَعَتْ شَرَايِينُ اتّصالها بهذَا العَالَم، كانت الأصداف مَا تُزَالُ نَدِيَّةً بِحَرَارَةِ يديه يَوْمٌ أَلْقَى بها هنا تَحْتَ قدميها فِي مِثْل هذَا الْوَقْت مِنْ ذاك اِلْزَّمَانّ، وَ اِنْصَرَفَ عَنِ الْبُحَيْرَةِ بِلَا اِلْتِفَاتِ، عَضَّت بأصابعها عليها وَبِآخرِ رَمَقٍ شَدّت مِنْ أَزْرِ روحها المهشمة وَ رمتْ بِالصّدفَاتِ بَعيدَا لِلشَّمْسِ الغائرة، تُوكل إليها سرّا ما فتأ أن خَرَّ بعدها وَأُنَابْ..

****

حُلْمٌ عَلَى مَنَابِرِ اليَقَظة

كُنْتُ دَائِمًا مِمَّنْ قَال عَنْهُم الدُّكْتورَ أَحمد خَالِد تَوْفِيقِ يَقِفُونَ عَلَى الْحَافَّةِ، مَا بَيْنَ الأسطورة وَالْحَقِيقَة، مَا بَيْنَ الْوَاقِعَ وَالْوَهْم ،أَتجمّلُ لِوَدَاعِ حُلْمٍ كُلَّ لَيْلَةٍ لِاسْتِقْبَالِ حُلْمِ جَديدٍ كَأَنَّهُ عَهْدٌ بَيْنِي وَالْقَمَرُ مِنَ الْأَزَلِ يَحُفُّ جَوَارِحِي، فَتُسْرِجُ كُلُّهَا نَحْوَ الْمُدَى بِأَمَلِ مُتَجَدِّدِ، مَا قَدَحَ عَلَى الْقَلْبِ إلاّ ليُضيئه كَمِشْكَاة مَمْزُوجَة بِنُورِ الْاِحْتِرَاقِ الْمُتَّقِدِ مَعَ خَيَالَاتٍ صَدِيقَةِ يَحزُّهَا الْوَفَاءُ لِلذِّكْرَيَاتِ، قَدْ كَانَ لِي حُلْمٌ مِنْ بَيْنَهَا يَأْبَى الْوَدَاع، يَأْبَى أَنْ يَكُون جُمْجُمَةٌ عَلَى الْأَنْقَاضِ وَشَبَحُ حُلْمٍ مَا يزَالُ متيقظا، تِلَالٌ أَرْهَقَتْنِي صُعُودًا فَأَحْرَقَتْ وَأَوْجَعَتْ لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِتَحَطِّمِ رُوحًا مَا خُلِّقَتْ لِتَنْهَزِم، خَلِقَتُ حُرَّةٌ كَطَيْرٍ أَتُوقُ لِلْأُفُقِ وَإِنْ هَبَّتْ مِنْ بَيْنَ سَحَابَاتِ الرَّتَابَةِ أَجُنْحَةَ الرَّمَادِ وَ لَوَّثَتْ وَجْهُ الشَّمْسِ، أَبْقَيْتُ عَلَى وَعْدِنَا تَتَجَاوَرُ آمَالُنَا فِي خُلْوَةٍ مُبَاحَةٍ نَخُطُّ مَعَا رَايَةً بِأَنَامِلِ حَمِيمَة، أَدْرَكَتُ حِينَهَا أَنَّهَا لابُد سَتُرَفْرِفُ وَ تَعْلُو..

تَشِفُّ مِنْ بَيْن الْغَيْمِ تَشَابُكَ عُرُوقِي بِعُرُوقِكَ وَقَلُوبنَا عَلَى فِطْرَتِهَا مُتَعَانِقَة نَحو الْأَبَدِ..

كَانَتْ أَحْلَامِي كُلَّهَا فِي كَفَّةِ شَكٍّ وَحُلْمِي مَعَك وَحَده يَقينٌ

جِئْتُ أُرِيكَ اشْراقتي فِي الْغَدِ قَبْلَ أَوَانِهَا..

مُسْتَعِدَّةٌ لِمِهْرَجَانِ نُجُومٍ أرْبكَتْ تَسَابِيحَ الْكَوْن، فمَاذَا وَرَاء النَّفْسِ إلَا خَوَاطِرٌ تَائِهَةٌ بَيْنَ الْحِبْرِ وَالسُّطُورُ فِي لَفْظِ أَحْبَبْتُ وَاشْتَقْتُ، لَكِنِيّ لَا أَخُونُ، وَعَدَّتكَ حُلْمًا وَ ابهَرْتني بِحَقِيقَةٍ وَبَيَان، لأجْلِكَ وَقَفْتُ عَلَى الْحَافَّةِ لَأنِي أُدْرِكُ مَدَى صُمُود أَقْدَامِي، قد أميلُ كُلَّ الْمَيْلِ لكِنّي لَا أَقَعْ ..تَعْلَمُ أنّي لَمْ أُولَدْ مِنْ أَعْمَاقِ يَأْسٍ بَلْ بَعْدَ مَخَاضِ قُوَّةٍ وَعَزِيمَةٌ، اِسْتَعَدْتُ مِنْهَا بَاقَة مِنْ خُيُوطٍ عَلَى وَجْهِ الْمُرُونَةِ فِي الصَّلَابَةِ تَهْفُو لِقُبُلاَتِ الشّمُوخَ عَلَى ذَاكَ الْجَبِينِ، لأنْقُشَ مِن كِبرِيَاءِ الشّوقِ وضَاءةً بعد اغْتِرَابِ الحَنِين.. فَلَا تَظُنّ أَنّي قَدْ نَسِيت أَنَّ رَايتنَا كَانَتْ و لاَزَالَتْ حُلْماً عَلَى مَنَابِرِ اليَقَظة

****

حلاوة وبَيَانٌ

الْتَفَّتَ حَوْلَ جيدِهَا كَزَفيرِ حَرْقَةٍ أَهْوَالُ دُنْيَا فَنَاءٍ، فَالْتَقَمَتْ بحُضْن مَتِينٍ قَطُوفًا مِنْ ذَاكَ الْجِنانِ رسَائِلاً تَأَلَّقَتْ فِي رَسْمٍ مبْهِجٍ، كَأَنَّمَا تَبَسُّمُهَا أَلْوَانُ قَوْسٍ بَعْدَ غَيْمَةِ أحْزَان، كلِمَاتُ الْعَليّ مِنْ خَلْفِ السَّبْعِ تُنْطِقُ الْحَجَرَ وَ تَخِرُّ لَهَا الْجَبَابِرَةُ طَائِعِينَ فِي خَلْوَاتِ صِدْقٍ، رَذاذُ صَبْرٍ تَقَاطَرَ عَلَى الْمُحَيّ فَأَبْهَرَ الْعَالِمِينَ، فَمَا بَنَى قُصُورَ الْخُلْدِ كَالْمُرُوءةِ وَأَشْلاءٍ قَهَرَتْهَا قُوَّةُ الايمَان، تَرَاصَّتْ حَتَّى أَعْلَتْ رَايَةَ الْمَجْدِ وَ رَفَّتْ كَنَبْضِ قَلْبِ مُرْهَفِ الْوِجْدَانِ ..

ذَاكَ مَا أَنَارَ رِوَاقَ الظُّلْمَةِ وَأَفْلَحَ فِي دُرُوبِ الرِّضَى، فأُوسع الْعَطَاءَ فَمَنْ يَحْتَكِمْ لِحُطَامٍ مَنْثُور وَلَهُ بالرُّوحِ، فِطرةُ الطُّهْرِ تُنَاجِي مُضْغَةَ الإنْسَانِ كَالقُرْآن..

مِنْ سِحْرِ الْحُروفِ أغْشَاها طَوَافٌ مِنْ وَمَضات الطُمَأنينَة، وَإِعْجَازٌ إلى مَا وَرَاءَ الْكَوْنِ ..

بِلَا جَوَازٍ اِقْتَادَتْهَا اِلْمَعَانِي فِي سَيْلِ الْبَيَانِ لَا وَسِيطٌ وَلَا رَقِيبٌ.. أبْوابُ الْعَظَمَةِ تَلِجُهَا النُّفُوسُ الْمُتَيَّمَةُ بِأنْهَارٍ مِنْ دَارِ الْحَقِّ وَجَوَارٍ حِسَانٍ

اِسْتَلَّتْ مِنْ نَفْسِهَا ذِكْرَيَاتٍ " أَلَا زِيدِينِي تَأَلُّقَا يَا سَمَاءُ وأَسْقِطِي عَلَيّ بَرِيقًا وَ اِهْرَقِي بِجُودٍ سَعَادَتِي عَلَى كَفِّي حَقَائِقا، ارفقِينِي بِجَنَاحَاتِ الرَّحْمَةِ، أَخْمِدِي بِدَاخِلِي ذَاكَ الْبُرْكَان"

أَسْرجَت نَحْو السَبِيل تَلتَزِمُ الأَمَل و قَاسَمَتْ لَيْلَ الصَفْوَةِ و أَوْدَعَتْ أَعْنَاقَ الذُلّ تَتطَاوَلُ حَولَ المَهَازِل، كَسُحبٍ حَالِكَةٍ تعَسَّر غَيضُهَا تُنَادِي هَل بِالأَرْضِ مِن سَاجِدٍ، هَل مِن رَاجٍ، هَلْ مِن مُنَاد الكَرِيمِ الجَوَّادِ..

اِرتَجَتْ لِحُلمٍ يَافِعٍ لِلتوّ أَزْهَرَ بِالرُوحِ، وأبَتْ أَن تَؤدّه مَهَالِكٌ فَاقَت المَوْتَ فِي ظُلمَةِ الغَيبِ ومَتاهَةِ المَصِير

مِن وَحيّ البَاقِياتِ الصَّالِحَات اعْتكَفَ بِخَلدِهَا نَجمٌ تَوَهّجَ مُوقِنًا أنّ ذَاك لَن يَكُونَ إلاّ النَصير، فتَضَاربَ يُحَاكِي نَعَائِما وَسِلْوانا، ارتَحَلتْ إليْهِ فَارْتَاحَتْ عَلى مَسْندِ الخَبِيرِ بِالخَفَايَا فَارِع الأَمَان..

التزَمَت مَا تَفَتَّتَ مِنْها أصْلَحَته بِعمَادِ الآية، وأَلقَتْ لِلنَّجَاة رُوحَها خَالِصَةَ النَّوايَا نَقِيّةً كَمَا خُلقَت بَادِئ الأَزْمَان

فَطُوبَى لِمَنْ صَحِيفَتهُ بِاليَمِينِ ارْتَوَتْ مِن دَمَعَاتِ الرَّجَا وخُشُوعِ الحَنِينْ .

****

لآلئ الرَحمَات.. !!

كَمَسْحَةِ النُّورِ عَلَى وَجْهِ الْجَلِيدِ تَدَفَّقَتْ خُصْلَاتٍ وَ اِنْحَنَتْ كشَلاّل

سَرد مُوجِعٍ، وَحَرْفُ نَاطِقٌ مَنْ بَيْنَ السُّطُورِ كَانَ أَطْهَرَ مَنْ لَيْلِ الْبَتُولِ

صَمَدَتْ وَابْتِسَامَتُهَا كَرِقَّةِ شَمْسٍ مِنْ بَيْن غَيْمَاتٍ مُتَسَلِّلَةٍ، فَأَشْرَقتْ حَوْلَهَا كُوَيْكِبَاتٌ مِنْ فَلَك الْفَضِيلَة

ومِنْ مِنْبَرِ الْتِفَاتِهَا، وَطَوْقِ اللَّحْظَاتِ غِشَاوَةٌ عَيْـنٍ اِمْتَزَجَتْ بِالْمُنَاجَاةِ لِحَجْبِ الْفُؤَادِ وَمَا ضَمَّه، وَأَجْفَانُهَا النَّدِيَّةُ تَرُدُّ عَنْهَا أَنْ آنَ لِلْهَمْسِ أن يَستحِيلَ دَمْعًا كَوَخْزِ الإِبَرْ.. يَغْرِزُ الأثَـر

يَروِي فَصُولًا مِنْ حِكَايَةٍ كُلُّ مَا فِيهَا مُسْتَتِرٌ خَجِل، أَبَتِ النَّفْسُ إِلَّا أن يَعْلُو الصَّمْتُ فَوْقَ كُلَّ الْعِبَرِ..

هَامَ عَلَى خَدِّهَا يَشْتَكِ جَهْلاً أَظْلَمَ حِينَ فَاضَ عَلَى الْقَلْبِ غَمْرٌ..

فَمَا اِسْتَرَاحَتْ لَهُمْ وَلَا لَازمَتْهَا الْكَلِمْ، كُلُّ مَا فِيهَا عَاجِزٌ سَاكِنٌ كَالْحَجَرِ وَالْعَيْنُ غَارِقَةٌ فِي مَوْجِ الذِّكْرَيَاتِ النَّهِم

مَا مَحَّصَتْ عَنْ نَفْسِهَا ذَنْبَ حَمْلِهِ وَلَا تَنَازَلَتْ عَنْ ثَقِيلِهِ كَالقَدَرْ.

ذَاكَ التَّارِيخُ كُتِبَ مِنَ الأَزَل فَمَا اِسْتَقَامَ مِنْهُ سَكَنٌ لَا اِعْوِجَاجَ فِيهِ، وَمَنْ زَاغَ عَنِ الْهُدَى اضْطَجَرْ فَمَا حَاسَبَتْهُ كَنَفْسِهَا وَمَا كَانَ مِنْهَا بِمَنْزِلِ الْمُتَّهَمِ..

فَحِينَ تَتْعَبُ الرَّوْحُ تَلْجَأُ لِنَبْعِ الْفِطْرَةِ وَلُغَتِهَا الْأُوْلَى تَرْجَمَةٌ صَادِقَةَ، في مِحرابِ الحَيَاة ليسَ أصدقَ من قَوسِ استجابةٍ معطّر بإلحاح صبرٍ..

ليْسَ أغْلَى مِنْ نَسِيج دَرْبٍ بلاَ رَيْب يجرُّ إِليْكَ نَعِيمًا مَا كَان منْكَ بِقَرِيبْ، يُحَاكُ لَكَ فيجُوبُك قَبْلَ أَنْ تمتَطِي سَبيلَه.. ومَا بينَ البينِ لآلئ دمعٍ نقيّ تُرَمِّلُ عَلى الوَجْنَتِينِ

غُبَارَ مُعْجزةٍ حَتَّى غَارَتْ تَحْتَ أُسْقُفِ الرَّحَماتِ كُلّ أوجَاعِهَا..

فأقَامَتْ حَدّا أنْ تَرْتِيه وإنْ سَكَنَ النَّظَر، وَعَالِيا مَدَّتْ مِن سَابِقِ عَهْدِه، صُورةً لَيْسَ فِيهَا شَوبٌ ..

فَلَبِثَتْ تُرَدِّد مِن سَلِيلِ أمّةِ المجْدِ، مَا اعتَدَّتْ وَلا افتقَرَتْ لِغيرِ الوَاحِدِ الحَسِيب، فَلا تَعْجَبْ مِن نَظْرَةٍ سَبَحَتْ فِي غَيْب، وَلَا مِنْ رِقَّـةٍ أتَتْ بَعْدَ خَيْبَـةِ حُبٍّ..

****

عرش الجمال

تُقَاسِمُ اللَّيْلَ فِي ظَلَامِ حَالِهَا وَبَرِيقُ عَيْنِهَا نَجْمٌ يُضَاهِي الْقَمَر، كَيْفَ لِلشَّمْسِ أن تَغِيب بقلبِهَا وَالزَّهْرُ يَشْتَاقُ السَّمَرَ، وَالْعُمَر عَلَى كَفِّهَا يَنَامُ وَ يَلْهَثُ الْحُلْم عَلَى أَسْوارِ البشر،

راقَتْ فتَأَلّقَتْ كَسِلْسَالٍ مِنْ قَطَرِ جَبِينِهَا وَنَدَى جِيدِهَا النَظِر مُنَاجَاةُ النَّجَاةِ وَنُورُ سَلَامِهَا حَوْلَ مِعْصمِهَا أوقَدَ الْعِطْر، نَفْحَاتِ طُهْرٍ وَجُنُونٍ عِفَّة لَاحَتْ بِأَبْهَى مَا قَدْ يَلْمَحُ النَّظَر أبْدَتْ لِرَبِّهَا أَدْغَالَ امْنِيَة وَ رَفَعَتْ أَمَام الْعَلِيّ مَا قَدْ سَتَر، لَيْتَ حَرْفي يَسْرُدُ الْعَبَرو يَنْسَخُ عَنْهاَ مَا قَدْ حُفِرَ، وَ يُهْلِّل عَلَى طُولِ صَبْرِهَا، وَ يَنْسُجُ لَهَا أبْهَى قَدَر، مَا تَلَبَّدَتْ غَيْمَاتُ الْحُزْنِ إِلَّا لِيُفْلِت مِنْ بَيْنِهَا الْمَطَر كَرُقْعَةٍ تَمَازَجَ الْفُرْسَانُ عَلَى سَطْحِهَا، وَ تَنَافَسَ عَلَى نَيْلِهَا القَمَر،

مَا سِرُّ حُسْنِهَا وَقَدْ نَأَت عَنْهَا كُلّ الْمَغَانِم، جُفونٌ تَنَاعَسَتْ وَعَلَى خَدِّهَا رَوَائِعٌ مَنْ خِلْسَة بَدْر، تِلْكَ الْفَضِيلَة مَا اخْتَلَىَ بِهَالَةِ رَمْزِهَا سَوَادٌ وَلَا كَدَرٌ، اِسْتَفَاضَتْ وَ اِشْتَدَّ الْعَطَاءُ مِنْهَا لِمَنْ يُأْسَرُ فِيهَا.

يَا لَيْتَهَا تَرْضَى بِرُوحِي فِدْيَةٌ وَتُبْقي منّي عَيْنًا تَرَاهَا وَلَا تُخِيبُ النَّظَر،

سَامَحَتْ ثُمَّ غَفَتْ، ولَنْ يَحْجُبَ عَنْ جَفْنَيْهَا النُّور مَنْ يَأْبَى حَمْلَهَا، هِي الَّتِي تَعَالَتْ عَنِ الدَّنَايَا وَأُلْبِسَتْ ثَوْبَ أُسْطورَةٍ وَكَانَتْ كَالْحُلُم

أَدْنَت إِلَيْهَا منْ بِالْوَحْشَةِ أقْصَاهَا، وَأَبَتْ تُدَاعِبُ صِغَارَ الْوِدِّ الْمُسْتَتِر..

اِسْتَوَتْ عَلَى عَرْشِهَا مِنْ تَحْتِهَا فَوَاصِلُ الْجَمَالِ قَدْ أَسْدَلَتِ الْخُمُرُ..

****

ارتجال من وحي الألم

فِي كُلّ النَّاسِ بقَايَا مِن نَاس

تتَجولُ بالأنفَاس،

تَرُوقُ وتَستفِيقُ بالإحسَاس ...

لَم يُنسى ولَم تهدمه فاس

بنائي هجرته المَعَاني، كاد يَخبُوا قنديله فِي البَيَان

بَات رَمْزًا لا تَدرِي أَهُو فَخرٌ مِن ذكرى؟

أَم غَرِيبُ مِن حَوَاس؟

ألزَمتُ أوتَادِي بِضعَ مَلامِحٍ و اخفَيتُ

فَسَمَا مِن بَينِ الجَوانِح حبّك كتماس

و ألمَعَ مَا بثّتْه رَخوَتيّ فِي عَينِي ..

أَأكتُم الرُوحَ بالرُّوح وَالقَلبُ عَسَّاس

ولا سِرّ مِن بَعدِ ضَجّتِكم.. بَاتَ يَرتَجِي الخَلاَص

حِين سَلّمتُ لِموجٍ مِن بَينِ العِصيَان دَسَّاس

أَورَدَت نَبعَ دَمٍ برَأسِي وَ رَسَت بِطَرفِ اللِّسَان الجِنَاية

أنّي كنت عَميقَة أكثر مِن اللزُوم،

فَسَطحِي هّشٌّ للغَايَة..

شُكرًا لِمن أضرَمُوا فِيه الخُدُوش،

فتهدّمت البِنَايَة ..

زَال مَا كان يَحجُم الشَمسَ

وها قَد أشرَقَت فِينا البِدَايَة

لا أقَع، مدامت بِقَلبي نَبضَات،

وَسَلاَمٌ عليكم من نهاية نجمة

تَقَلدّت مِعصَمَ الجُرُوح..

و هبّت منها نَسَمَات، وَأجرَاس

دَوّت بِقلبِي رَنِينًا أطرَب أوتَارِي

فَغَنّت أَطيَارِي وحَلّقَت كهِجرة

نَحوَ سُحبٍ وغَاضَت غَيثَ مَاس

سَلاَمٌ عليكم فِي غُروبِ الظِّلاَل

بَوحٌ بمكيال طهرٍ وشُرُوقٍ

نَاضَل لِلرّمَق المُتعَالي للخُضُوع

فِيكم لَم يَكن يُرتّلُ إلاّ شَفَقَةً تُدَاس

وسُلوَة كنتُم فِي النّفسِ..

و مَا ارتَحَلَت إلَيكم الّا بقَايَا ذَرِيرَة

ذَروها رَمِيمًا بالقَلبِ كوخزٍ

تَشُجّ عَن الظَّهرِ حقائقٌ وَأَقدَاس

عَلّها ومن شِقٍّ تَشُدّ سُقُوفَ الهدايَة ..

سَلاَمُ ...

حتّى لا يَمتدّ لِحَرفِكم بَعدِي حِكايَة

والله المولى..

البَاقِي على أصل النّوايا.

****

قَنَادِيلٌ نَاعِمَة

قَناديلٌ من غيمِ الآفَاقِ حَوّطَتْ على أحْلامِي، وما صحّ من السَمَاء إلاّ أن أمْطَرَت بِتصَادُم بَهْجتي ومُهَجتِي، ولا مُتناقضَاتٍ ولا مُتشابهاتٍ ضَفتْ بفِكْري كَتلكَ التِي أثْقَلَتْ عَيني بالمَنَام، وأنْكَرتْ بِداخِلي خَوفي وذَبَلاَني ودُنْيا الحَلّ الَوحيد اليَائس رَغَباتٌ كَثيرة قَابِعةٌ تَنتظِرُ نفْضَ الغُبَار، لم أجَازِف بِحذْف مُدخَلاتِ مُجتمعٍ كَادت تَغزُوا مَواطِن الشَغَف والاخْتلاَفِ فِيّ، آمالٌ تَفُوقُ استيعَابَ خُطَط المجْتمع الأبَديّة، أفلتَتْ تلك الابْتسَامَة الطّيفِية جِماحَ نفْسي وشَدّت لِجَام طُمُوحَاتي وأفْكَارِي المُندَفعة،

حُلمٌ ورْديٌّ يَعيشُ مُتخفيّا قَدْر الإمْكان وسْط قَطيع سَائرٍ بقَوانينَ أناسٍ خَلتْ، وأفكارَهم الدهُر منْها مَا بِلي واندثَر، مُجرّد أسبابٍ مُتوارثة تغيبُ فِيها الشَّخصياتُ الحَقيقية قَيّدتْني، لأصْبحَ نُسخة تَسير بخُطًى ثَابتة نَحْو نَفْس المَصِير المَرْسوم مِن قُرون... مِرآةٌ للأَمْسِ مُغْبشة بِخُطُوطِ مَاضٍ لَم يَقْنِعْه الرَحِيل، تُسلْطِنُ عَلى عَرْش القَلب كَانت تَظنُّ الزَّمن لَم يخْلق بَعد ..

ما يتَعَطّفُ عَلى النَّفْس فِي ذَاتِها أنّها تُشبه حُبّا أزليّا للذاتِ لا يضُر، وإنما وقُودٌ لنَعيشَ دُون خَوفٍ أو تَردّد؛ هُو ذَاك الإحْسَاسُ الذِي نَكْبته خَجلاً أمَام الآخَرين، هو إجاباتُنا الواضِحة أمَام الأسئلة المتَكَرّرة، هو صُراخنا الباطِني للتَحَرّر ..

تَمَاوجَتْ مِن لُؤلُؤٍ وأَسْهَبَتْ فِي سَيلِ نُورٍ مِن قُزَحِ صَحْوَةٍ، وأجَازَتْ وُرَيقَاتِ عَصْري و نَبشَتْ عَن قَرَارِي واخْتِيَارِي.

كُنْتُ أرْضا تُحيّهَا الشَّمْسُ ومِظلَّتِي مَا انْفَكّت يَدي تُعْلِهَا حَتى أتَاني مِن وَحْيِهَا مَنْ لاَ يُشْبِهُها في نَارِها ولاَ رَمَادِها، فَما احْتَرقَتْ قُصَاصَاتُ الأَمَلْ بَلْ ذَابَ عَنْها ثَوْبها الجَليدُ ولاَنَت عَلى فَحْواهَا تَعَطّرت وسبَحَتْ ..

مَا لَا يُدْرِكُ فِي جِهَاتِ الأَرْضِ كُلّهَا كَانَت قِبْلَتِي قَد بَرزْتْ وسْطَ ظُلْمةِ ازدِحَامِ النُّسَخ، تأكّدت حِينَها أنَّ لَمَعَان الأفْقِ في عَينْي يَقُودُني للتَمّيز ،

قَنَادِيلٌ مِنْ خَلْقِ العَليّ القَدِير كُتِبتْ أَقْدَارَنَا لَكنهّا لا تُشْبه بَعْضَها، فَسُبحان مَنْ دبَّرلنَا أمُور حَيَاتنا لنَغْفُوا عَلى نَغَمَاتِهَا، ولنا فِي عَصْرِ السّمَاءِ مَوْعِد مُتكلّم..

****

سَبْحَاتٌ وَثَوْبٌ مَغْفِرَةٍ

عَنِ أبجَدِيةِ الْحَرْف لَنْ أتَحدّثْ..

عَنْ سَبْحَاتٍ فِي اللَّفْظِ تَغْفَى وَ تَنْسَابُ بِالرَّوْحِ قَبْلَ اللِّسَانِ..

تَلَثَّم السَّوَادُ فِينَا، فَتُحِيلُ الْوَجَعُ شيئا حَمِيمًا..

ذَاكَ الذِي أرْجَعِني إليكَ..

وَمَا كَانَ غَابَ اللَّفْظُ عَنِي وَلَكِنَّ غَيَّبَتْهُ الْفُرُوضَ،

وَيَدِيَّ التِي مَا اِمْتَدَّتْ لِغَيْرِكَ يَوْمًا..

مَالَتْ وَيَبِسَ عُودُهَا

حَتَّى تَسْقِيهَا بِغَيْثِ الرَّحْمَاتِ،

تَجَلَّدَتْ مَنْ طهرِ لَيْلَي الطَّوِيلَ عَبْرَاتٍ وتلألأت تُكدِّرُ حِيطَانَ عَجْزِي

وَفِي مَيْدَانِ صَفْوِي رُحْتُ أُلَاعِب سَبْحَتَي تُشْرِقُ الْحُروفُ بِاسْمِكَ الأعْظَم،

وَتَجْلُو عَنِي غَمَامَاتُ الْيَأْسِ لِتَحُطّ عَلَى قَلْبِي حَمَامَاتٍ كَنَبْعِ الْجِنانِ؛ رَقْرَاقَةٌ خُطُوطُهَا سَلَاَسِ الْمَرْجَانِ

تِلْكَ الْمَغْفِرَةِ...

أُوْدعَتْ فِي سِرّ كَلِمَاتٍ تَغْفُو عَلَى الصَّدْرِ..

تَتَشَبَّثُ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ..

تَحِيكَ حَوْلَنَا نَارَا وَبَرْدًا وَسَكَنَاتٌ

وَمَا سَكَتَ الْقَلْبُ يَوْمًا عَنْ ذِكْرِكَ، وَقَدْ ضَجَّ النَّبْضُ بِالْحَرَكَاتِ وَفِي الْكَوْنِ مَا لَا تُدْرِكُهُ لُغَات.

نَعْلَمُ يَقِينًا أَلَّا نُوقِفُهُ خَلْفَ سَيْلِ الْحَيَاة وَمَا بَعْدَهَا وَمَا لَا يَجْلُو إِلَّا بِمِيقَاتِ..

سُبْحَانَهُ لَمَّا نُعَرفُهُ وَمَا لَا نُعَرفُهُ..

سُبْحَانَهُ عَلَا قَدْرُهُ وَلَسْنَا لِنَضَع لَهُ دَرَجَات

سَبْحَاتٍ تَصُونُ النَّفْس وَتُلْبّسُ الرُّوْحِ ثَوْبَ مَغْفِرَةٍ وطِيبُ لِقَاءٍ

وَمَا بَعْدَ لقَائِكَ إِلَّا أَنْ أَخِرَّ تَحْتَ عَرْشِكَ رَاجِيَةً رِضَاكَ

وَلَا بَعْدَ لِقَائكَ كَعَذْبِ الْقَبُولِ وَرِزْقُ الْجَنَّاتِ

أقْبَلتُ بِرَثّي ..

إلي بثوب مِنْ خُضْرِ العَبَقَات

يَا خَالِقِي قْبَلْنِي...

****

استريحي

وَمَا الْحُبّ إِلَّا غُصَّةَ فدعك منها وَابْلَعِي الحياة

فوَالله لَا يَسْتَحِقُّ دمعَك إِلَّا خَالقُك حِينَ تَخشيه

وَسَيُعِيدُ لك الْمَحْبُوبَ وَتقِرُّ الْعَيْنُ برؤياه

الْأَمْرَ بيده -- فَلَا تَعجَلِي--

ضَمّدي جِراحَك، وَلَا تَقْسِي عَليها، سَتَشْقِي لكنّك سَتَشْفِي

وَتَمْتَدُّ لك تلك الْيَدُ الْحَنُون

تَرْفَعُ عنك لِثَامَ الْوَحْدَةِ وَتضمّك

يَا غَيْمَةً بكتْ ليُزهر قَلْبَي،

يَا رُوْحِي -- اِسْتَرِيحِي--

ستصادفك الذّكريات فَمُرِّي لَا تهتمِي

سَلي الله لقلبك الْوَسِيلَةَ فتحاك خَلْفَ جِراحك شفاءً

وَاصْعَدِي لِلْقِمَّةِ--

لَوْ رَفَعَتِ عينيك لوَجَدَتِ القَلْب الذِي تَحْلُمِينَ هناك ينتظرك

ليستلمك تَبْتَسِمِينَ

وَلَا تَلْتَفِتِينَ

لَمْ يكن لِلدَّمْعِ جَدوى يوَمها سَتُدْركين

كان غِيَابًا لِزَامًا..

وها قَدْ غادرتِه

ذلك الشُّعُورَ هزّ فيك وَتَرًا أَرقَّ نَغْمًا صَاخِبًا بروحِك

لكنّه لَمْ يكن ليبقى،

كان وَكان وَ بَقي فِي ذاك المكان

لَا تحْمليه سَقَطَ أَبَدًا،

لَا تَنْحْنِي الْقِمَمَ لمُتسلّقيها..

اِشْمَخِي رجاءً

هامَتُك الْفَضِيلَةَ

تاجُك الْيَقِينَ الْمُبَيَّن،

الله معَك، مَنْ ذَا يُجَرأ أَنْ يجرحك

يَا رَوْحِي.. اِسْتَرِيحِي

الْحُبَّ رَايَةً مِنْ لِجَامِ الصِّدْقِ رفعُوها كذبًا

وَافَقُوا نَبْضَاتٍ هشَّة، فَأَقْلَعَتْ بهم نَحْوَ دُرُوبٍ غَابِرَةٍ

لَمْ تكن سوى كلماتٍ مَا أوقفتْ اِلْحَسْ، فكدنَا نجثوا عَابِدِينَ

لكنّ الله أَوَقَد نوره فِينَا، فَبَثَّ الْحَنِين لَجَنَةً عِرضها حورٌ وَنَفْحَاتٌ

اِسْتَرِيحِي، لك هناك قَلْبٌ مِنْ جواهرٍ حِسانِ

يُرَبّتَنَّ علك صداك الْخَافِتَ ليوقظوه..

لك حَبيبٌ وَرجاءٌ لَا يُخَيّبُ

يَا صَحْوَةَ الْحُبِّ، شُكرًا.

اِسْتَرِيحِي..

****

وَعَنِ الْحُبِّ "لَيْسَ إِلَّا انْتِ"

خَيَالُ السِّلَاحِ وَدَوِيُّ عَصْرِ الثَّوْرَةِ
يُدَوِّي، يُنْضِجُ الطِّفْلُ الْوَلِيد..
مِنْ رَمَادِ الذّكْرَيَاتِ يُجَالِسُ الْخُلُود أجيَالَنَا
يُشْعِلُ منْ عَلَى مِنْبَرِ الْحَقِّ كَلِمَاتُكَ، يَا نُوفَمبرُ يَا رَصَاصَةَ الْمَجْدِ
وَيَسْرِدُ بِسَلَاسِلِ الدَّمِ كَيْفَ وَارَيْنَاكِ التَّارِيخَ يَا ثَوْرَة الْجَزَائِرِ
كَيْفَ لِلْحِكَايَةِ أن تُنْسَى فلاَزَالَ هَزِيزُ نَصْرِنَا يَعْلُو الْمَنَابِرُ..
وَالْعَلَمُ شَاهِدٌ فَوْقَ كُلّ قِمَّةٍ بِلَوْنِ دِمَاءِ شهدَائِنَا يَتَقَاطَرُ..
يَرْوِي..
حَكَايَا الشُّمُوعَ لِظِلَالِ السَّتَائِرِ
وَشَوْقُ الدُّموعِ لِسَيْلَ البشائر
سَلِيلُ أَمْجَادٍ قَدْ بَاعُوا الْفَنَاءِ..
بِخَالِدٍ لَا يَعْلُوهُ حَائِرٌ
بَنَوا تُراث عُمْرٍ، عَلَوْ عُلُوّ صَقْرٍ
عَانَقُوا الْمَوْتَ لِنَيْلِ حَيَاةٍ وَفَرُّوا لِشَهدِ الْجِنانِ
عَرَفُوا السَّبِيلِ.
وَ شَدّواُ لِجَامِ تَارِيخٍ قَدْ ملّ الْمَجَازِرَ

رَسْمُوا بِدَمٍ نَبِيلٍ خَارطةَ كِفَاحٍ وَحُلْمَ شَعْبِ حَائِرٍ
أَعْلُوَا الشَّهَادَةَ عَلَى حُبّ ذَاتٍ وَطَيبُ عَيْشٍ
وَ زَرَعُوا الْكَرَامَةَ فَوْقَ عُشّ ذُلٍّ، وَلُقْمَةِ غَادِر
وَ رَفَعُوا رَايَةَ ثَوْرَةٍ
هَزُّوا بِجذعِ النَّخْوَةِ، تَسَاقَطَتْ ثِمَارُ حُبَّكِ يَا جَزَائِر
أَحْيَتِ الرَّوْح فِي كُلِّ حُرٍّ
وَ صَارَ الْمَشْهَدُ كُلَّهُ يَحْكِي بَلَدَ المِلْيُونِ
حَرَائِرٌ رَفعنَ الْعَلَمَ فِي وَجْه كُلّ غَادِر
رَمّمْنَّ كَسُورَ الْفُرْقَةِ وَ ضَمَّدْن جِراحَ الوَطَنِ
وَ أَنَجَبْنَا مِنْ صُلْب كُلِّ ثَائِرٍ أَلْفُ ثَائِرِ
عَنْ ..
حُبّكِ يَا وَطَنًا جُذُورُك الطُّهْرُ وَجِذَعُكِ الْبَقَاءُ
فِي قِصّةٍ لَا زَالَتْ تَنْزِفُ كُلّمَا رُويتْ
عِطْرًا مِنَ الفِرْدَوْسِ لِكُلِّ مَنْ يَعْتَبِرْ
أَرْضُ حُبِّي وَمُهْجَةَ الخَاطِرِ
يا جزائـر ..

أندلس الذكريات

الشَّوْقُ لَيْسَ طعْمًا بِمَذَاقِ الحَبيبِ..

مَنْ يَحْيَ بِمَقَامِ الْجوارحِ كَالْغَرِيبِ، الشَّوْقُ لِلْبَعيدِ، لِلْقَرِيبِ، لِلْمُؤْنِس، الشَّوْقُ لِلذِّكْرَيَاتِ..

لِلْأَمَاكِن، لِلْكَلِمَاتِ، لِلْعُطُورِ، لِلْهَمْسَاتِ.. الشَّوْقَ لِلْأَيَّامِ والبَسَمَاتِ..

الشَّوْقُ رُوْح تَحْيَا بِذاكِرَةِ الْأوفياءِ ..

آهٍ يَا أَرضًا رَفَعَتْ رَايَةَ الإِسلَامِ وَ ضَجَّ بِهَا آذانُ عَصْرِ نَهْضَةٍ

يَا مُهْجَةِ الْقَلْبِ يَا فِرْدَوْسَنَا الضَّائِعِ

يَا قَلْبًا نَبَضَ ذَاتَ صَرْحٍ مِنَ أعَالِي الحَضَارةِ وَالشُّمُوخ

تَارِيخٌ كُتِبَ بِدَمِ الحَمِيّة سَطْرًا، سَطْرًا لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَمِلْ

يَا دَمْعَةً أَحْرَقَتْ بِنَاءَاتٍ مِنَ الْعَظَمَةِ لَمْ يُخْلَقْ لَهَا مَثِيل لَا قَبْل وَلَا بَعْد

إنّي يَا حَبيبَتِي دُونَ خَجَلٍ، دُونَ مَلامَاتٍ فِي السَّمَاءِ قَدْ عَلَتْ بوادرٌ وعَلامَاتٍ ..

اشْتِقْتُ الْحَديثَ بَلَا مُقَدّمَات، اشْتِقْتُ وَجْهَ الطَّيبَة،

اشْتِقْتُ صِدْقًا فِي الْعُيُونِ المُغَشّاة

ذِكْرَيَاتُ أَرْضٍ وهَوَاءٍ خِلَالَ الْفُؤَادِ

أحْكِي بغَصّة، فَأَشْتَاقُ أَرْضَكِ يَا اندَلَس، يَا غَرْنَاطَة، يَا إشْبيلية؛ أنْتِ أَغْلَى

أَن تَكُوني مَنْسِيَّةٌ

لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لَكِنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَبْرَحْ يَجُولُ بسمَائِك يَنْفُضُ عَنْ مُحَيَّاكَ الطَّاهِرِ..

يَا أَرْضَ السّلاَمِ، يَا فُسْحَة الجَمَالِ

لَازِلتُ أَهِيم بِكِ بَاحِثًا..

عَنْ كُلُّ شَيْءٍ أضعناه فِي الطَّرِيقِ.. كلّ نَظْرَةٍ،

كُلّ تغريدة، كُلّ نَسمَةٍ عَابِرَةٍ أَنْعَشَتِ الرُّوحَ

هَلْ مِنْ رَفيقٍ يُعِيدُ لَنَا الْحَيَاة؟

يُعِيدُكِ يَا غَالِيَة، يَا كَنْزِي البَاهِت، يَا خَيْبَةً لَمْ تَبْرَحْ تُجَرّحُ كُلّ قَلْبٍ مُتَفَكّرٍ

تَحْتَ أَيّة رُكَامٍ مِنْ لَيْلِ الْمُعَانَاةِ أَضَعْنَاكِ

أَيُّ يَدٍ أَفْلَتَتْكِ..

يَا مَلَاكا تَسَاقَطْتِ كَفَيْضِ مَشَاعِرٍ مِنْ شُقُوقِ القَلْبِ

وانْهَمَرْتِ كَماءٍ أَلَنتِ قَسْوَةَ الْخُدُوشِ

فَالْتَأَمَتْ وَطَابَتْ رَغْمَ جراحِكِ

لاَ أُرِيدُ بُكَاءكِ؛ كَأَنّكِ رَحَلْتِ ..

أُرِيدُ أن أُخَلِّدَكِ كَمَا لاَزِلتِ أبَدًا خَالِدَة

بَرْدُ عِشْقِكَ مِنْ ثَوْرَةِ الْغَزَلِ لَمْ يَكْتَفِ..

وَحُروفِي ذَابَتْ خَجَلًا مَنْ وَصْفِ حُسْنِك..

لَمْ أُجِدْ وَضْعَ النِّقَاط بَعْدَكِ فِي الكَلَام

لَم أَعْرِفْ كَيْفَ يَخْتَزِلُ كُلُّ عِشْقِكَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ

زَادَ فَيْضُ حُبِّي وَلَمْ يَجِدْ لَهُ مخْرِجًا غَيْرَ اِسْمِك..

يَا أَنْدَلَس... في النَّفْسِ كَفِيل

يَا اسطُورَةً كَانَتْ بِمَكَانٍ مِنْ ذَاكَ الزَّمَانِ

تِلْكَ الّتِي مَالَتْ فَاِسْتَطَابَ مُقَامُهَا وَتَرَبَّعْت.

فِي الْفُؤَادِ

عَلَى سُطُورِ النَّجْوَى كَتَبَتُ، فَتَلَثَّمتِ بِلِثَامِ الزَّوَالِ

لِمَ تَعُودِينَ بِقَلْبِي وَأَنَا العَلِيلُ..

مَاذَا تَنْتَظِرِينَ، شَوْقُكِ مَا فَاعِلٌ بِي !!

الشَّوْقُ دَاءُ الْقَلْبِ إِذَا لَمْ يُشْفَى مِنْه مَات

أَهٍ يَا أندَلُسَ الذِّكْرِيَات..

****

مملكة الصّمت

يقُولُونَ صَرْخَةُ الصَّمْتِ أَقْوَى مِنْ صَرْخَةِ الْكَلاَمِ، فَفِي حَضْرَةِ الصَّمْتِ الْأَلَمُ يبْدِعُ فِي قَتْلِ الْأَحْلاَمِ ...

تَتَآكَلُ الْأَرْواح وتَفْنَى، حِينَ تَعْجَزُ حُروفُ الْأَبْجَدِيَّةِ كُلُّهَا عَنِ الْوَصْفِ

لِيَبْقَى الإِحْسَاسُ أَرْقَى وأَعْمَقُ مِنْ أَي كَلاَم، فَنَلْجَأُ لِلَعينِ بَاب وُلُوجِ الْأَعْمَاقِ،

نَتَضَرَّعُ أَنْ يَحْكِيَ عَنَّا الدَّمْعُ حُروفَنَا الْمَنْسِيَّةِ ..

ومَا الصَّمْتُ إلاّ أَصْوَاتٌ عَجَّتْ بِهَا النُّفُوس حَتَّى وهِنَتِ وبَاتَ الدَّمْعُ أَبْلَغ مِنَ الْحَرْفِ فِي الْمَعْنى

وأَصْدَقَ دَلالَةً عَلَى مَا يَجُولُ بِالْخلَدِ مِنْ مَشَاعِرٍ لَا يُمْكِنُ الْبُوحُ بِهَا..

فَيَقِفُ كُلّ الْكَلاَمِ عَاجِزًا عَنْ وَصْفِ الشُّعُورِ

وتُخْلَطُ الْمَعَانِي بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرِدِقَّةً

وصِدْقَا... لَكِن هَيْهَاتَ أَن تصْطفَّ كُلُّ تِلْكَ الأحاسِيسُ الصَّادِقَة

فِي صَفِّ سَطْرٍوَاحِدٍ أَوْ جُمْلَة وَاحِدَة تَرْوِي ظمَأ تِلْك الْمَشَاعِر ..

فَتَهْدَأ النَّفْسُ وَتَركن، وتُغْمَضُ الْعَيْنُ سَابِحَةً فِي مَلَكُوتِ الصَّمْتِ لِتَقْرَأَ كُلَّ الْمَعَانِي الْمُبْهَمَةِ ..

فِي جِدارِيةِ الْخُلُودِ أَمَامَ صَرْحِ الْمُلُوكِ، فِي مَمْلَكَةِ الْكَلاَمِ ..

حَيْثُ الصَّمْتُ مِفْتَاحٌ لِكُلِّ مَا لَا يُمْكِن أَنْ يُحْكَى أَوْ يُقَال

لِيُشْرِقَ فِي الْمَلاَمِح، ويَتَبَسَّم الثَّغْرُ سَعَادَةً وتَدْمَعُ الْعَيْنُ ألْفَةً وسُرُورًا، كَضَرْبٍ مِنَ الْخَيَالِ لَيْسَ لَهُ حَلّ إلّا الصَّمْت؛ دَليلٌ وبُرْهَانْ..

حِينَ نُجْبَلُ عَلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ، ومَهْمَا أَدْرَكْنَا مِنْ مُصْطَلَحَاتٍ فِي جَمِيعَ لُغَاتِ الْعَالَمِ،

يَبْقَى اِعْتِزالُ الْكَلاَمِ أَبْلَغُ رِسَالَةٍ فِي جَمِيعَ الْأَحْوالِ..

لكن مَا هو أَنَبْل مِنْ كُلِّ تِلْكَ الْمَشَاعِرُ الآنِفَة، حِينَ تَقِفُ أَمَامَ رَبِّ الْعِبَادِ ..

تَضجُّ نَفْسُكَ بِالْأَمانِي فَلَا تَجِدُ سِوَى أَنَّ تَكْتَفِي بـ ' يا رَبُّ '

وتُسْلِّمُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا الزِّمامَ لِأَنَّ صَمْتَكَ يَسْمَعُهُ و يَفْهَمَهُ مَنْ خَلَقَ الْكَلاَم..

وجَعَلَ الصَّمْتَ قُوَّةً وأَمَانًا ..

يا جَنَّة الرُّوْحِ لَنْ نَسْتَحْي أَنَّنَا سَنَأْتِي مُدَجَّجُونَ بِالثِّقَةِ والصَّفَاءَ

وللنَوايَا عِندَك بَابٌ يَتَقَلَّدُ عَرْشَ السَّكِينَةِ فِي مَمْلَكَةِ الصَّمْتِ، نَدْخُلُهُ محَلّقين بِطُهْرِ الْقَلُوبِ ..

" فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُدْرِكْ مَدَاخِلَ النَّفْسِ ووَجَعَ الْقَلُوبِ إلّا هُـو "

****

توقيع ونجمة

قَامَتْ تَلْفَحُ وَجْهُهَا حُمْرَةٌ مِنَ الْمغيبِ، وَدَلْوُكَ الْقَمر يُجَهّزُ عَلَى حُلْمِ يَوْمِهَا السَّعِيدِ،

يَوْمٌ كَغَيْرِهِ بِلَا جَديدٍ..

دَنَتْ مَنْ نَفْسِهَا واِلتَحَفَتْ بِوِشَاحِ خَوْفِهَا الرَّثّ وَأَطْرَقَتِ السَّمْعَ لِحَديثِ قَلْبِهَا، وَيَدُهَا تَرْتَعِشُ كَرَقَّاصِ السَّاعَةِ الْمُعَطَّلَةِ بِغُرْفَتِهَا مَرَّةً للأمَام مَرَّةً لِلْخَلْفِ ..

عَلَى خُطُوطِ الصَّفحَاتِ أَتَرْسُمُ نِقَاطَ الْمُتَابَعَةِ أَمْ نُقْطَةَ النِّهَايَةِ؟ تحَادِثُ دَواخِلَ نفْسِها الخجلى

" تُرَاهُ مَا زَالَ يذكُرُ رِسَالَتي الْأَخِيرَةُ..

تِلْكَ الْمُخَضَّبَةِ بِاِخْضِرَارِ أحْلَامِي

تِلْكَ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى جَبِينِ أيَّامِيّ مِنْ أَزَلٍ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ

تُرَاهَا مَلّتْ مَنّي تِلْكَ الْوُعُود التِي الزَمْتُ نَفْسِي بِهَا..

ملّتْ مِنْ نَحِيبِي وعِتَابِي

لِلظُّروفِ وَسَحَابَاتُ الْمِزَاجِ بِقَلْبِي

" اللَّاشَيْءُ أَحَنُّ أَحيانَا مِنَ اِنْتِظَارِ مَنْ لَم يَأْتِ يَقِينًا.. كُلَّمَا اِقْتَرَبَتْ مِنْهُ اِبْتَعَدَ كَسَرابٍ وَإِنْ حَاوَلَت لَمْسَهُ انقشَعَ وذَاب..

وَتَنَاثرَ كَحبَّاتِ الرَّمْلِ بَيْنَ أَصَابِعِ الْأَمَلِ..

مُجْحِفا حَقّنَا بِأَيّ حُلْمٍ.

أُسْطورَةٌ قَدْ تَتَمَثَّلُ فِي وَجْهِ أَيّ أحَدٍ..

فِي أَيّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ عَابِرًا لَمْ نَنْتَبِهْ لَهُ..

تَحْمِلُ وَحْيًا مِنْ غَيْرِ هَذَا الزَّمَانِ، تُرْشِدُنَا لِنَجْهَرَ بِالْإِيمَانِ

" هَا أَنَا وَقَدْ أَتْعَبَتِ الظلّ حَرَكَاتِي وَسُكُونِي..

وَقَدْ أَرْهَقَ جَوَارِحِي ذَاكَ النَّبْض الْمُضْطَرِبِ"

مُجْبَرَةٌ: سَتَكْتُبُ السَّطْرَ الْمُوَالِي.. الزَّمَنُ لَمْ يُخلَقْ لِلتَّوَقُّفِ

الْكَلُّ يُوَاصِلُ ويَسِيرِ مُرْغَما، بِخُطى نَازِفَة عَلَى شَوْكِ الطَّرِيقِ ..

نَحْوَ ذَاكَ السِّيَاجِ الْعَالِي حَيْث تَخْتَلِي الْأَحْلَام بِشَلاَّلِ الطَّمُوحَاتِ الْمُنْهَمِر

هُنَاكَ لَا يُزَالُ الْأَمَلُ يُوَلَدُ رَغْمَ عُقْمِ الْفُرَصِ، هُنَاكَ تَعِيشُ أَنْصَافُنَا الْحَالِمَة .

رَسُولُهَا إِلَيه هَذِه الْمَرَّةَ مُخْتَلِفٌ؛ لَا أَشواق ولَا اِنْهِزَامٌ يَتَرَدَّدُ صَداهُ كَوَجَعِ الْمَخَاضِ الْمُسْتَفِزّ..

مُنَاجَاةٌ كَيْ يَنْحَنِيَ لِلرّيحِ ذَاكَ الْجمادِ ولِتَسْرِي بِعُرُوقِهِ نَخْوَةِ الدَّمِ ..

ولِتَسْقُط الأَثْقَالُ عَنْ أَكْتَافِهَا ولِتَدُقَّ طُبُولُ الأفْراحِ بِسَاحَةِ الْفُؤَادِ الْمَهْجُورَةِ،

فَيُقَامُ مِهْرَجَانُ الْحُبّ

بَعْدَ مُقَاطَعَةِ السِّنِين..

وعَلَى حِينِ غرّة عَادَتْ تِلْك النَّجْمَةُ الآفلة لِتُبْرِق بِعَيْنيهَا فَيَتَجَلَّى بِظُلْمَتِهَا مُلاّك الْأُمْنِيَّاتِ".

" نَجَمْتِي لِي أَمَنِية جَاثِمَةٌ عَلَى حافَّةِ ذاكِرَتِي، تُرتّلُ حِكَمًا مِن أَقْدَسِ حرُوفِ الوَفاَءِ،

لا تُجْدِي مَعَهَا كُلُّ تَعْوِيذَاتِ الزَّمَانِ.

أَهْدَابُكَ مَعَابِدِي فَدَعنِي أعْتَكِفُ فِيكَ كَأَهْلِ الْكَهْفِ إِلى حِين يُشْرقُ عَهْدُكَ ويُؤذنَ لِي أَنْ ألقَاكَ...

كُلّ نَبْضَةٍ تَهمِسُ كَالصَّدَى وتُرَسِمُ لِلْوُجُودِ أنّ طُقُوسَهَا لَنْ تنْتَهِي..

خُطُوطٌ مِنْ قَبْضَةِ المجْدِ صَنَعَتْ بِالقَلْبِ وَسْمًا شَامِخًا، تُخَلِّدُ اسْمَهَا

تَضَعُ نُصْبَ الْقَلْبِ حِكَايَةٌ مِنْ دِفْءٍ يُذِيبُ خَيْبَة الْأَمْسِ، بِشَمْسٍ لابُدَّ مُشْرِقَةً..

كَآخِرِ سُطُورٍ مِنْ يَوْمِهَا،

لِيُقْفَلَ الْكِتَابُ عَلَى تَوْقِيعٍ ونَجْمَه.

يحكى أنّ...

غمـر الحبّ تـلال وحدتي وأطلّ شيء من ألفـة ماضيـه، حين توهّج القلب المسـمى خلـف ضلوعي و أنشـد أنْ للـرّوح أوان نـدائها...

قلت كيف أن يكون ولم أعهد بنفسي ولدا توأمًا.

كان الموعد مع إشـراقة الفجـر وما ظننْت نفسي أسـير على قدمي، فقد كانت نسائم الشـوق تهزّني وتطيربي ولا أعلم إلى أين، إلاّ أنّي انصعت لها وارتخت لها كل جـوارحي..

كالفجـر الذي أذاب غشـاوة الظلام شـعرت أن بقلبي أشـرقت إشـعاعات دافئة رقيقـه،

وعلت وجهي ابتسامه عفويّة، ولمعت بعيني اتجاهات مخفيه لم أكن أدرك لهـا سبيلا..

قلت بنفسي هل سألتقيها هناك ؟ على التلّة أم بتلك السّهوب الشّاسعة..

وصلتُ إلى حيثُ كانت النّسـائم تحُزُّني، كريشـة اسـتلقت مشـاعري على قلبي وضمّدت كل جرح فيه و سَرَتْ بجسـدي حرارة رفيقـة..

سِـرْتُ نحوها ولـم أدري أنهـا من كانت تقودني إليها دون علمي، ولكن بإرادتي أحببتها وهي تتمثّل كصورة روحي المغلّفة خلـف جسـدي..

لامست كل جزء منها كأنها نفسي التي كنت أكتشفها،

نظرت بعيني إلى تفاصيل عينيها

وجدتُ لي بيتا هناك من زمن كنت ساكنة فيها، وكانت ملجئي

قادني الحنين إليها ولم أراها قبلا

لكنها اجتَثَّت منّي كل أوجاعي وداوَتْني..

روحٌ تلازمني وَرُوحٌ ألاصقها، ليست خيالا بل حقيقةً كانت معي في مهدي يوم ولادتي، كملاك حارسـة

تلك المشاعر المتراكمة، تلك الأحاسيس الغائبة اليوم استعدتها..

أصبح لقلبي نبضَيْن الآن..

أُحبّها.. توأمتي

تمت...

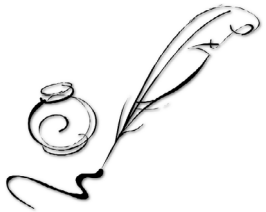

إلى كلّ أصحاب الأثر المارّين من هنا...

****

إن كان ثغرك عابسا، لم يبتسم

وبقلبك جرح لم يلتئم..

داوي مآسيك بالقرآن والتّفاؤل،

فكلّ داء عند ربِّ العباد

زائل

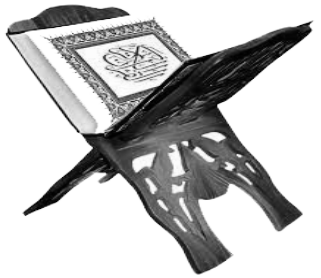

فهرس الكتاب